أدب ونقد

مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية

نوفمبر ٢٠٠٧ ـ العـــدد ٢٦٧

المحافظون الجدد: منظّرون لخراب العالم

أحمد شوقى: تقليـــدى أم مجّـدد

تسعون عاما على الثورة الاشتراكية الروسيـــة



شوقى جلال يكتب تجربته فى الحيـــاة

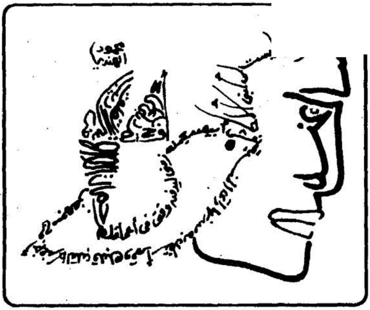
لماذا يتكـلم النشطـاء بالعاميـة؟

الموروث الشعـــبى الفلسطينى


مكتبة
لسان العرب
أ. علاء الدين شوقي
www.lisanarb.com

أدب ونقد

العدد ٢٦٧ نوفمبر ٢٠٠٧



رئيس مجلس الإدارة: د. رفعت السعيد

رئيس التحرير: حلمى سالم

مدير التحرير: عيد عبد الحليم

مجلس التحرير: د. صلاح السروى/ طلعت الشايب/ د. على مبروك/ غادة نبيل/ ماجد يوسف/ د. شيرين أبو النجا

أدب ونقد

مستشار التحرير: فريدة النقاش

المشرف الفني: أحمد السجيني
إخراج فني: عزة عز الدين
مراجعة لغوية: أبو السعود على

الرسوم الداخلية للفنان : محمود الهندى
لوحة الغلاف الأمامى الفنانة الصغيرة : إيزيس حسانين
الغلاف الخلفى للفنانين الصغار: محمد حسام وأوزوريس حسانين
وليلى خالد حريب وإسراء أشرف ومريم عبد الستار حتيتة .. من أعمال
ورشة الأطفال الإبداعية التى أقيمت بحزب التجمع

الاشتراكات لمدة عام
باسم الأهالى/ مجلة (أدب ونقد): داخل مصر ٧٥ جنيها
البلاد العربية ٧٥ دولارا/ أوروبا وأمريكا ١٠٠ دولارا

يمكن إرسال الأعمال على العنوان البريدى أو البريد الإلكترونى:
Editor @ al - ahaly. com

المراسلات: مجلة (أدب ونقد) ١ شارع كريم الدولة/ ميدان طلعت حرب
القاهرة/ هاتف ٢٥٧٩١٦٢٨/٢٩ فاكس ٢٥٧٨٤٨٦٧

المحتويات



مفتتح (١)

٧٥ عاماً على رحيل «أمير الشعراء»

أحمد شوقي: تقليدي أم مجدد؟

حلمي سالم

تحتفل الأوساط الأدبية المصرية والعربية، هذه الايام، بمرور خمسة وسبعين عاماً على رحيل أحمد شوقى (أمير الشعراء، كما لقّب) وكان رحل عام ١٩٣٢. والواقع أن تقييم شوقى فى حياتنا الثقافية تم عبر منظورين مختلفين: أحدهما: منظور سالب، وثانيهما: منظور موجب.

المنظور السالب يرى أن شوقى كان ربيب القصر، وأنه «ولد وفى فمه معلقة من ذهب»، وأنه شاعر الجموع، لا شاعر الفرد، شاعر الخارج لا شاعر الداخل، شاعر الموضوع لا شاعر الذات، ولذلك هو شاعر تقليدى يعيد ترجيع أصداء الشعر العربى القديم، ولم يصنع سوى محاكاة القصيدة العربية فى عصورها الزاهرة الغابرة. كما أن الجميع لم ينس له موقفه السلبى من ثورة عرابى (١٨٨١) وهو الموقف الذى جعله يستقبل عرابى عند عودته من المنفى بقصيدته سيئة السمعة التى يقول مطلعها: «صغار فى الذهاب وفى الإياب / أهذا كل شأنك يا عرابى؟».

أما المنظور الموجب (الذى أميل إلى النظر من خلاله من دون تجاهل المنظور السالب) فيمكن تلخيصه فى النقاط الموجزة التالية:

١- كان الشعر العربى فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين فى حاجة ماسة الى نوع من الإيحاء أو البعث، ينتشله من هبوط مرحلة الانحطاط التى غرق

فيها طوال القرون السابقة. وقد نهض شعراء هذا البعث والإحياء بمهمتهم خير قيام، بدءاً من محمود سامى البارودى، ومروراً بأحمد شوقى وجميل صدقى الزهاوى وإسماعيل صبرى ومعروف الرصافى وحافظ إبراهيم وخليل مردم وخليل مطران وغيرهم.

أعاد هذا الرهط من شعراء الإحياء والبعث إلى القصيدة العربية ديباجتها المكينة ومتانتها الكلاسيكية التى كانت فقدتها طوال فترات الركاكة والضعف (وإن كانت مسألة ركاكة الأدب فى عصور الانحطاط تحتاج إلى إعادة نظر جذرية). وعندى أن ذلك الإحياء كان مرحلة ضرورية باعتباره «قنطرة» تاريخية يعبر عليها الشعر إلى التجديد والتطور والتقدم. وهو ما حدث بالفعل فى أواخر العشرينات وبداية الثلاثينات، حينما اندلعت فى الحياة الشعرية العربية ثلاث مدارس رومانتيكية كبرى انتقلت بالشعر نقلات جلية معروفة، وهى: مدرسة «الديوان» ومدرسة «المهجر» ومدرسة «ابو للو» (التى رأسها شوقى نفسه فى السنة الأولى من قيامها رئاسة شرفية) وواضح أن هذه الأرضية التقليدية التى جهزها هؤلاء الاحيائيون كانت لازمة من أجل أن تنشأ عليها (بها وضدها) التحولات التجديدية اللاحقة.

قد يقول قائل إن الشعر العربى لم يكن محتاجاً لهذه «القنطرة» وكان عليه أن يقفز من مرحلة الانحطاط (العثمانية المملوكية) الى مرحلة التجديد الرومانتيكية مباشرة، على طريقة «حرق المراحل» وربما كان ذلك صحيحاً من الناحية النظرية، لكنه لم يحدث لسببين: الأول هو أن ثقل وطأة الشعر العربى القديم وترسخه فى بنية (وذهنية) الثقافة العربية لا يتيح نجاح نظرية «حرق المراحل» أو القفزات الجذرية الواسعة، وإنما يتيح - فحسب - التدرج المتمهل فى التطور وفى تسلسل الخطوات، والثانى هو أن بعض «الانحرافات» عن المتن التقليدى الراسخ كانت واقعة بالفعل، لكنها لم تكن ظاهرة فى بؤرة المشهد الشعرى الرئيسى، وأقصد محاولات التمرد الشعرى التى مارسها خليل شيبوب ومحمد فريد أبو حديد وجبران ونعيمة وباكثير ودومط وغيرهم. على أن هذه الانحرافات ظلت «هامشاً» للمتن الرئيسى للقصيدة العربية التقليدية التى تطورت إلى القصيدة الرومانتيكية العمودية (مع تعديلات طفيفة أجرتها المدارس الثلاث المذكورة).

٢- صحيح أن شوقى اتخذ موقفاً سلبياً من ثورة عرابى، لكن ذلك مردود عليه ثلاثة ردود:

الأول: أن الموقف من ثورة عرابى لم يكن المعيار الوحيد للوطنية أو عدمها، فقد اختلف فى تقييم ثورة عرابى وطنيون كبار عديدون، منطلقين من ان هذه الثورة لم تحسب بدقة النتائج الفادحة، وهى النتائج التى جرت على مصر الاحتلال الإنكليزى (١٨٨٢). وتكرر هذا اللبس مع تأميم عبدالناصر لقناة السويس، التأميم الذى نتج عنه العدوان الثلاثى على مصر (١٩٥٦)، ومع اسر حزب الله جنوداً إسرائيليين إسرائيل نتج عنه عدوان اسرائيلى وتدمير لبنان (٢٠٠٦).

الثانى: إن سيرة شوقى (على رغم موقفه من عرابى) لم تخلُ من بعض المواقف الوطنية مثل قصيدته عن دنشواى (١٩٠٦) ومثل تعاطفه مع الخديوى عباس حلمى الثانى (الذى شكل آنذاك بريق أمل لقطاعات من الحركة الوطنية المصرية، بسبب تأييده تركياً ضد الانكليز فى الحرب العالمية الثانية (١٩١٤ - ١٩١٨). وكان من نتيجة هذا التعاطف أن أبعد شوقى إلى اسبانيا منفياً، حيث قال قصيدته الشهيرة التى يعارض فيها سينية البحترى هاتفاً: «اختلاف النهار والليل ينسى / اذكرا لى الصبا وأيام أنسى»، وهى التى تحتوى على البيت الذى صار شعاراً من شعارات محبة الوطن:
«وطنى لو شغلت فى الخلد عنه / نازعتنى إليه فى الخلد نفسى».

الثالث: أن احياء الشعور «القومى» كان واحداً من إنجازات شوقى السياسية فى شعره، إذ تعامل مع الوطن العربى كوحدة سياسية واحدة، فى مرحلة حرجة كان فيها العالم العربى يخضع لاحتلالات ثلاثة كبيرة: الإنكليزى والفرنسى والإيطالى، ومثالنا الشهير على ذلك قصيدته عن «دمشق» التى يقول فيها:

«سلام من صبا بردى أرقُّ / ودمع لا يكفكف يا دمشقُ

ومعذرة اليراعة والقوافى / جلال الرزء عن وصف يدُقُ».

وهى القصيدة التى احتوت على البيت الذى صار - كذلك - شعاراً من شعارات التحرر والاستقلال والتمرد: «وللحرية الحمراء باب/ بكل يد مضرجة يدقُّ».


محمود الهندي

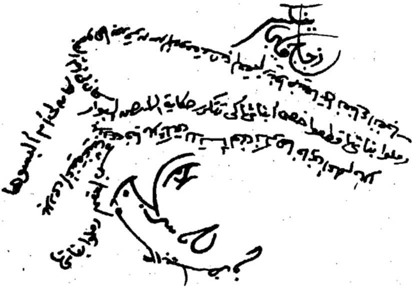
٣- إن شعر شوقى لم يكن كله شعر «خارج» لا شعر «داخل» ولم يكن كله شعر «موضوع» لا شعر «ذات». فقد أنشأ شوقى العديد من القصائد الذاتية والعاطفية شديدة العذوبة والليونة والرواء..

٤- لا يمكن أن ننكر مساهمة شوقى الريادية التحديثية المتمثلة فى مسرحياته الشعرية. كتب شوقى عدداً من المسرحيات الشعرية منها: على بك الكبير، مصرع كيلوباترا، مجنون ليلى، قمبيز، عنترة، أميرة الأندلس، الست هدى، وهى مسرحيات يلاحظ على غالبيتها بعثُ الحس القومى التاريخى التراثى، الذى أظن أن الجماعة المصرية (والعربية) كانت فى حاجة الى بعثه فى مواجهة الاستعمار الإنكليزى والفرنسى والإيطالى، وحتى فى مواجهة السيادة التركية.

وصحيح أن هذه المسرحيات كانت ذات نزوع تقليدى ولا يعدها نقاد عديدون أكثر من قصائد شعرية مستقلة متفرقة تلقى على خشبة المسرح، لا يربطها دراميا سوى خيط مسرحى طفيف، لكن الصحيح، كذلك، أن إدخال هذا الفن المسرحى الى ثقافتنا العربية كان اجتراءً تجديدياً مرموقاً، تابعه عديدون طوروا ملامح هذا الفن الجديد «المسرح الشعرى» مثل صلاح عبدالصبور ومعين بسيسو وعبد الرحمن الشرقاوى ونجيب سرور وممدوح عدوان وسميح القاسم وغيرهم من شعراء المسرح.

كان شوقى – إذن – ضرورة، من أكثر من زاوية. فمن زاوية أولى: كان ضرورة لكى يعود المعمار المتين للشعر العربى القديم قبل أن ينحدر فى عصور ما يسمى بالانحطاط، ومن زاوية ثانية: كان ضرورة لكى ينشق الثوار اللاحقون على هذا المعمار المتين المكين. فلا بد من أن يوجد ما تريد أن تهدمه.. ومن زاوية ثالثة: كان ضرورة لكى يلقنه العقاد (ومدرسة الديوان) دروساً فى أهمية أن يكون «الشعر من الشعور» وفى أن الشاعر الحق «ليس هو من يصفُ لك الشيء كأنك تراه، بل هو الذى يصف اثر الشيء على نفسه»، وهذا هو جوهر المدرسة الرومانتيكية، ومن زاوية رابعة كان ضرورة لكى يتطور المسرح الشعرى، بعد أن خلقه شوقى بسيطاً بدائياً، إلى أطوار حديثة على أيدى الشعراء المجددين فى العقود التالية، ومن زاوية خامسة: كان ضرورة لكى يتطور مفهوم «الوطن» من المعنى البسيط الذى قدمه شوقى «وطنى لو شغلتُ...» الى معنى أكثر عمقاً قدمه السياب بقوله:

«إنى لاعجبُ كيف يمكن أن يخون الخائنون/ أيخون إنسان بلاده؟/ إن خان معنى أن



يكون فكيف يمكن أن يكون؟/ الشمس أجمل فى بلادى من سواها والظلام / حتى الظلام هناك أجمل فهو يحتضن العراق»، ثم إلى معنى أكثر تعقيداً وانزياحاً مع شعراء ما بعد الحداثة العربية الراهنة.

إن هذا المنظور الموجب الى مكانة شوقى (من دون تغافل عن بعض حقائق المنظور السالب) هو المنظور الذى ينبغى أن تتبناه الأجيال الشعرية الجديدة، لأنه المنظور الذى يضع شوقى فى سياقه التاريخى (فى بدايات القرن العشرين) ويرى منجزه على ضوء مرحلته التى ظهر فيها، فلا يطلب منه ما ينبغى أن يطلب من الأجيال الشعرية التالية له. وهو المنظور الذى يقدم نموذجاً صحيحاً وصحياً «لقتل الأب» يبتعد عن المعنى المراهق الذى يسعى الى «القتل لمجرد القتل». نموذج يتأسس على إدراك عمل الأب (معرفته)، ثم تمثله وهضمه، ثم تجاوزه فنياً وإبداعياً الى إضافة شعرية جديدة..

ولعل هذا المغزى هو ما لمحت إليه قصيدة محمود حسن إسماعيل التى أنشأها فى رثاء شوقى. ومحمود حسن إسماعيل واحد من أبناء مدرسة «أبوللو» التى ساهمت (مع المهجر والديوان) فى نقل الشعر بعد شوقى نقلة كبيرة.. لقد انتحب إسماعيل (بأبيات تعد من البدايات المبكرة للشعر الحر - ١٩٣٢) قائلاً: «لم يمت شوقى/ وفى الشرق شعاع من سناء/ سائلوا الأيام والأحلام والدنيا/ دولة قامت على عرش الحياة/ من شعور، وجهاد، ودماء/ شاعر فى الأرض لم يلق مناه/ فرقى/ يشدو لسكان السماء».

مفتتح (٢)

حياتى بقلمى

شوقى جلال

تاريخان فى حياتى.. الفارق بين التاريخين.. بين الأمس واليوم هو الفارق بين البداية مع الانتماء وبين الراهن مع الاغتراب... البداية واحد من بين ابناء جيل اغتذى على حب مصر الوطن والتاريخ وأمل المستقبل، وحب العلم ومغامرة المعرفة وقيم النهضة.. حرية الفرد المواطن دون تمييز.. جيل التمرد والتحدى فى استقلال عن السلطة عازفا عن غواياتها لأنه الأكبر والمصدر.. كل رأى نفسه مصر ولم ير مصر فى حدود ذاته ومصالحه، نهضته تجل لنهضتها.

النشأة فى الامام الشافعى فى القاهرة حيث الحياة والموت فى جوار أو امتداد، تواصل وتكامل.. الحياة والموت حدثان طبيعيان.. الموت يسخر من الحياة، والحياة تنتصر لنفسها أبداً.. ولا معنى لأى منهما دون الآخر.. الوجود مشروع إنسانى ممتد بين الطرفين فى الزمان والمكان.. وترسخ فى نفسضى أن الحياة فرصة لإثراء الوجود زمنا وإلى حين.. فرحة بالحياة وغضبة من الموت لا رهبة ولا خوفا.. ولعل هذا هو جذر الوجدان الصوفى الذى غلبنى فى صباى.. ولعل هذا ايضا السر فى أن حلقت خيالات صباى بعيدا إلى عالم الأفلاك وقراءة علوم الفلك، وكذا إلى الحياة فى دير سانت كاترين الذى كنت اديم النظر إلى صورة له فى البيت..

نشأت فى إحدى الأسر الممتدة التى لا تعرف التعصب الدينى ابى عامل فنى فى سلاح المهمات، وصاحب ورشة فى حى الخليفة عرف البيت اليسار ثم شظف العيش فى

مرحلة تالية. وعرف وقت اليسار هواية الاستماع للغناء والموسيقى ومشاهدة رقص الغوازى. ويضم البيت مجلات ثقافية مثل «مجلتى»، وكتبا مثل «الأديان فى العالم»، قراتها فى فترة تالية وكانت أول إطلالة لى على عالم رحب من الأديان والعقائد المختلفة مثل البوذية والكونفوشية وغيرها وأن الأديان جميعا سواء.. واعتدت أن أرى أصدقاء أبى من مسلمين ومسيحيين ويهود يجمعهم الود دون أن تتردد صفة التمييز بين أى منهم.

واعتدت التطلع من نافذة أرضية لأحد البيوت وأرى شخصا جالساً محاطا بكتب كثيرة.. عرفت من أبى أنه كاتب اسمه المازنى، يملك سيارة سوداء لعلها الوحيدة فى الامام تمنيت كتبه ولم أتمنى سيارته.

التزمت بشعائر العبادات فترة بوجدان صوفى حيث القلب مرعى لغزلان ودير لرهبان.. اتساع الآفق ورحابة الصدر سمة شائعة من سمات مرحلة التنوير. وأعجب لشعور طفولى حين أسجد اثناء الصلاة وتتملكنى عبارة أرددها فى نفسى مكتومة: «ألم تكن هناك شعيرة اخرى تحفظ للانسان كرامته بدلا من أمرغ وجهى على الأرض».

وكان أبى المسلم الملتزم أول من ذكر لى كلمة التطور واسم داروين. وشرح المعنى بالنظر إلى الدجاج والبط والأوز فى البيت.. أعيش السياسة فى البيت حديثا عن مصر والعالم وإن كنت لا افهم معنى الاشتغال بها.

عرفت الطريق إلى الاخوان المسلمين وأنا فى الصف الأول الثانوى حيث الصلاة وتعلم الخطابة والرحلات والحديث عن استقلال مصر... لا بأس من المشاركة فى بيئة تضم أصدقاء اللعب.. وانصرفت عنهم وتركتهم يوم أن اشتريت كتابا بعنوان «الاخوان المسلمون فى الميزان» رآه معى جلال سعده المسئول الاخوانى واستعاره ليومين وعدت أطالبه به ولم يرده.. عرفت أنه حجبه عنى أو صادره فانصرفت عنهم فأنا لا أطيق حجرا على حريتى.

ألفت الاتصال بكل الأطياف: الإخوان ولجنة الوفد بالخليفة والشيوعيين والاستماع أحيانا لخطب أحمد حسين... كنت دائم القراءة فى كل الاتجاهات القرآن والعهدين القديم والجديد ومجلة الفجر الجديد وكتب مثل لماذا أنا ملحد؟ ولماذا هو ملحد؟ ولماذا أنا مسلم؟ والرد على الدهريين ورسالة التوحيد.. وتأثرت بقوة بفكر ومنعج الأفغانى.. واعتدت مع كل فجر أن أقرأ آيات من القرآن وأبياتا من شعر صوفى أو ترجمات لشعر وأدب هندى. وأحببت كثيراً كتاب السادهانا لطاغور.

وهكذا أنعم بمتعة التنوع والهث بحثا عن المزيد يحدونى الأمل فى أن أكتب.. ولم أر تناقضاً فى أن أنهل من كؤوس الحب فأشرب لأروى ظمأ لا يرتوى ويطيب لى سماع أغنيه قالوا أحب القس سلامة وهو التقى الورع.

وانقطعت المسيرة باعتقالى عامين مع الإخوان ولست منهم عام ١٩٤٨ فى معتقل الهايكستب حيث الإخوان والشيوعيون واليهود. وخرجت مع عودة الوفد إلى الحكم وهمى أن اتجاوز الضائقة الاقتصادية التى يعانى منها البيت وأضمن الالتحاق بالجامعة واشتركت فى مسابقة ضمنت لى الالتحاق المجانى فضلا عن حصولى على مجموع يكفل لى الالتحاق المجانى عام ١٩٥١/١٩٥٢.

وفى عام ١٩٥٢ انقطعت مسيرة جيلي بأطيافه المختلفة من أجل مصر حين تولى بعض أبناء الجيل المسئولية بالوكالة عن جموع أبناء مصر. نعم يحملون أحلامها ويؤمنون بالهدف ولكنهم لا يملكون آلية حضارة العصر.. الديمقراطية والمجتمع المدنى.

واستنوا ما سماه أحدهم ديمقراطية التفويض الصامت والتى هى فى جوهرها آلية المستبد العادل بينما العدل والاستبداد لا يجتمعان.. ومن أسف أن توحد جمهور المثقفين مع السلطة وكان هذا بداية الاخفاق أو إحدى الطرق إلى النكسة. وفقد المثقف قيمة وفضيلة وصفه بالمثقف المستنير. والمثقف المستنير ضمان اطراد المسيرة وتصويب الخطأ هو من يحرص على الاحتفاظ بمسافة نقدية بينه وبين السلطة، سياسية أو دينية - لا خصومة معها وإنما ضمانا لفرصة إبداء الرأى فى حرية دون انحياز أو غواية.

مارست حياة الفكر الحر فى الجامعة ولا أكف عن القراءة فى كل الاتجاهات.. قرأت عن البوذية وبوذا واستهوتنى النيرفانا والتوحد مع الكون.. وقرأت عن كونفو شيوس واستهوتنى عقلانيته.. ورأيت فى الوضعية المنطقية منهجا لضبط الفكر مثلما رأيت فى نظرية التطور منهجا فى التفكير.. ورأيت فى الماركسية من خلال قراءاتى الشخصية، إطاراً لتفسير ظواهر حياتنا الاجتماعية وتطورت رؤيتى مع الزمن.. لم أكن بعد مشاركا تنظيميا مع الشيوعيين.

ولكن الشخصية الثانية التى تأثرت بها هو الفيلسوف الهندى راد هاكر شنان بعد أن قرأت كتابه «ديانات الشرق وفلسفة الغرب»، إذ طالعت عبارة يقدم بها الفصل الأول تقول «إذا تعالينا عن الفوارق الجزئية بين الأديان سترى أنها جميعا واحدة لأن الانسان

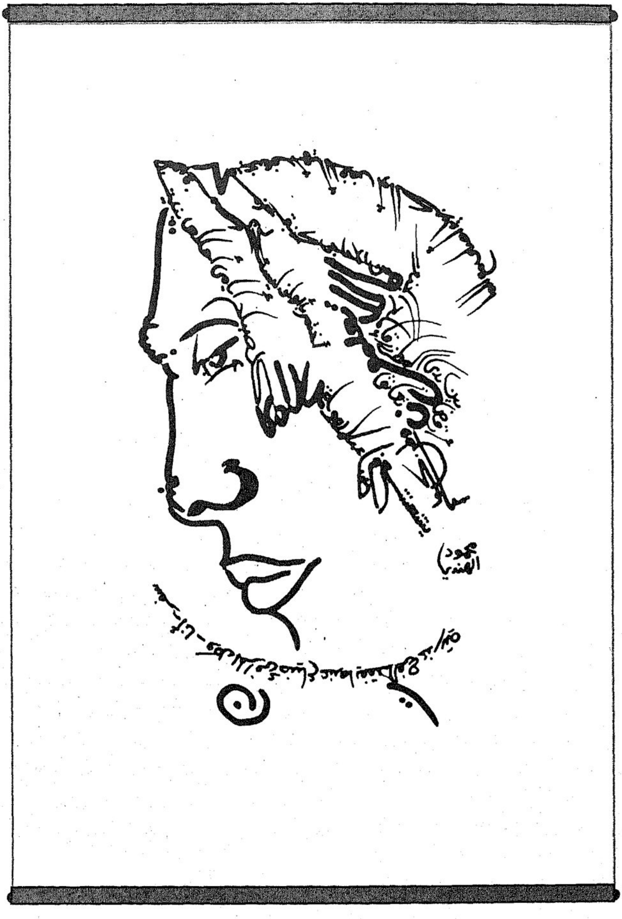
واحد، رأيت فيها مفتاحا لقضايا تؤرقنى عن الانسان - الأديان - الكون... إلخ وفتح لى هذا الرأى أبواب دور العبادة جميعها على اختلاف عقائدها.. مسيحية ثم بعد ذلك بوذية وكونفوشية وطاوية وهندوسية.

واعتقلت ثانية مع الإخوان عام ١٩٥٤ بضع شهور ثم سنتين فى العامرية ثم سنتين فى السجن الحربى. وكان سجنا مضاعفا، الإخوان يرفضون مشاركتى الكلام والطعام، والتفيت داخل الزنزانة بشخص يتصف بالذكاء والصدق والحماس المتدفق والاصرار على النضال.. هذا هو المناضل الراحل صلاحين من كمشيش.. قضينا فترة الاعتقال فى حوار هامس عن الماركسية، وأنا لست شيوعيا والتقينا بعد الخروج من المعتقل وزرت كمشيش التى أثرت فى وجدانى وعرفت من أهلها حقيقة معدن الإنسان المصرى الصلب المتسامح الواعى.. إنه الذهب الخالص توارى أو أخفته العروف والاحداث.

وأقرر بهذه المناسبة كم من مرات استقيت الحكمة من لسان العامة البسطاء وأجبتهم. شخصان من عامة الناس أثرا فىّ تأثيراً كبيراً وأزاحا عن عينى غمامة الانحياز عند مترفى الثقافة، وأدركت أن بسطاء الناس ليسوا بحاجة لوصاية فهم أصحاب عقل راجح ووعى بقضاياهم الشخصية الأولى عامل بناء يرتدى جلبابا أسود التقيته ساعة الغروب وأنا أسير فى طريق شبه خال تماما أواخر عام ١٩٥٦. اقترب منى يسألنى أن أشعل سيجارته.. حاولت أن أقدم له سيجارة رفض.. تبادلنا الحديث وقال من بين حدث عن علاقته بصاحب العمل وعمله عبارة هى جوهر فكر ماركس عن فائض القيمة.. وتعجبت: أنا اشترى كتبا وأطالع وأظن أننى اهتديت إلى الفكر الصحيح بعد جهد كبير ثم إذا بهذا العامل البسيط ينطق بالحكمة موجزة من واقع حياته وحياتنا فى كلمات بسيطة.. يالعظمة البسطاء.

الشخصية الثانية فلاح أجير من كمشيش هو عبدالحميد عنتر. قال لى يوم أن رفع عبدالناصر سعر الأرز والصابون خمسة مليمات.. «لا مانع عندى بشرط يقولى وعلى الكل» أليست هذه هى الديمقراطية على لسان الفلاح البسيط.

واعتقلت ثانية سنة ١٩٥٩ خمس سنوات مع الشيوعيين فى الفيوم ثم ابى زعبل، وهيأ لى المعتقل فى الواحات فرصة للمشاهدة على الطبيعة، المشاهدة المكشوفة لما أخفته سرية التنظيمات فى الخارج عشت مع قبائل وعقليات قبلية وصراعات قبلية.. واعتزلت.. وخرجت من المعتقل ١٩٦٤ وبقيت أكثر من عامين بلا عمل على الرغم من



عودة الشيوعيين إلى أعمال بجهود تنظيماتهم.

واعتقلت عام ١٩٦٥ مع الإخوان ثابته.. وقدمت داخل سجن القلعة مظاهرة بالإخوان أعلنت بعغدها الاضراب عن الطعام الذى استمر ثلاثة أيام ثم افرجت عن السلطات.

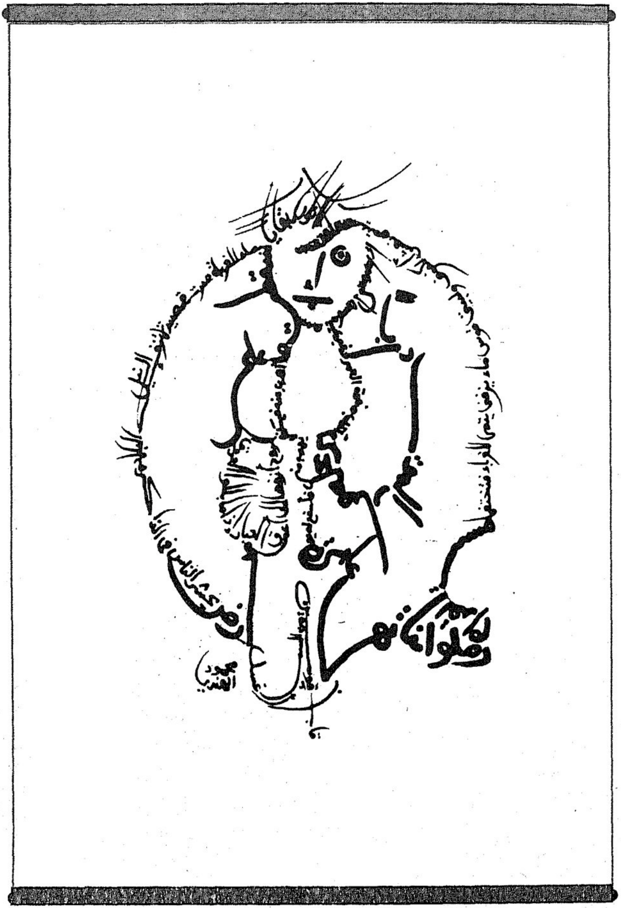
ومع هزيمة ١٩٦٧ المخزية غلبتنى مشاعر التحدى والمقاومة مثلما غلبنى الغضب من النظام والخوف على مصر.. وقررت التطوع والتحقت بمعسكر مدرسة الابراهيمية متطوعا لا للدفاع عن النظام بل عن مصر. ولكن فى ذات اليوم الذى سجلت فيه اسمى متطوعا استدعتنى إدارة المباحث العامة وسألنى الضابط المسئول «لماذا تطوعت»؟ وبعد أن أجبته قال «أنت بالذات لا... تروح بيتكم» وبلغ الشعور بالغربة ذروته.. انها غربة جيل بأكمله قبض الريح.. وبعد تأمل وأنا ممنوع من الكتابة ومن السفر رأيت أن أواصل الترجمة لاتحدث بلسان غيرى إلى أن يحين وقت التأليف. وحرصت أن يكون جهدى مشروعا ثقافيا تنويريا يتكامل مع جهد التنويريين من أجل مصر والانسان.

وحين أعود أتأمل حياتى أذكر أننى تمنيت يوما على الحزب الشيوعى ما أتمناه اليوم على جميع الأحزاب ان كانت جادة فى السعى لتحمل مسئولية النهوض بمصر. أتمنى أن يكون لكل حزب مركزاً للدراسات السياسية والاستراتيجية يبصره حسب منظوره بالأوضاع والسياسات المحلية والعالمية وأن يشكل ما يمكن تسميته حكومة ظل لديها برنامجها للعمل فى كل المجالات المنوطة بحكومة وكأنه مهيأ لتولى السلطة غدا.

هنا يكون الاختلاف بين الأحزاب حول برامج فى شفافية بدلا من شعارات تداول السلطة وغيرها من كلمات رنانة جوفاء هى الطريق إلى تداول الكارثة.

وحين أعود بالذاكرة إلى الماضى أذكر ان معارك التحرر الوطنى لم تكن ساحة للمواجهة الثقافية والدراسات الفكرية عن الواقع ولم تكن ساحة لترسيخ ثقافة الديمقراطية والرفض المطلق لحق الاختلاف أو الطاعة ولم تكن ساحة لمراجعة التاريخ والتراث اللذين تخلفا عن عصور القهر والحكم الأجنبى على مدى اكثر من الفى عام صاغت سلوك الانسان المصرى ثم من بعدها الاستبداد المحلى وليس الهدف ردة إلى ماضى بل رد اعتبار للذاتية التاريخية للانسان واصلاح ما أسميه حالة اختلال الأنا لدى الانسان المصرى الذى عاش فريسة للقهر والاستبداد وفريسة لثقافة تلزمه وتزين له الصبر على البلاء والهجرة إلى الغيب.

وأعود بالذاكرة وأرى أن الفرض الغائب ابداً فى حياتنا الثقافية والفكرية والسياسية



هو المراجعة النقدية للذات من منطلق اجتماعى فى إطار أفق اجتماعى يتعالى على الانحياز الأنانى ... مراجعة لرصيدنا الثقافى ودوره الفاعل إيجابا وسلبا مراجعة للعقل وللفعل الاجتماعيين.. للانسان.. لانحيازاتنا الفكرية المفروضة باسم المقدس أو بفعل الهيمنة.

حياتنا الآن تمضى فى إطراء عشوائى التماسا لمصالح فردية أنانية.. تمضى الحياة وتقع الكوارث دون مراجعة للذات ودون الشك فى رصيدنا الثقافى.. وغابت الفعالية المجتمعية وغاب الفكر الابداعى النقدى.. وغابت المعايير أو «الأصول» وضاق الأفق.. كل امرىء محصور داخل ذاته، وأصبحت مصر تجمعا سكنيا لا مجتمعا... ولا معنى لثقافة سادت مع جيلنا فى البداية: التطور والتغيير.. التحدى والارتقاء.. التقدم المسئولية والالتزام والتمرد على الواقع المعيشى تطلعا إلى أفق جديد.

وحين أتأمل واقعنا واحتمالات مستقبلنا تصدمنى كلمات عالم الاجتماع والفيلسوف مانويل كاسيلز فى كتابه «عصر العولمة» إذ يصف دول ومجتمعات أفريقيا.. ولنتأمل الحديث وموقعنا الجغرافى.

يقول توافق صعود الرأسمالية المعلوماتية مع انهيار اقتصاديات إفريقيا وحدوث فوضى سياسية وعنف وانخفاض لمستوى المعيشة ومزيد من الاعتماد على الخارج وانهيار الصادرات وزيادة الواردات إذ نجد مزيداً من الاعتماد على القروض التى تزيد التبعية. ونقد عزوفا عن التصنيع والاكتفاء بالاستيراد مع زيادة فى الواردات الزراعية.. وضعف البحث العلمى..

ويضيف أصبح الوجود رهن المساعدات الخارجية والقروض الأجنبية والمنح. وسداد الديون غير ميسور إلا من خلال اجراءات تبعية مثل شىء حرب بالوكالة أو المشاركة فى حرب مقابل اسقاط بعض الديون. ونضيف بيع الأراضى والبنوك للأجانب.. والنتيجة التهميش عالميا واقليميا.. وتتبع الدول سياسات اقتصادية خاطئة تعوق الصادرات والاستثمار لصالح جماعات مصالح محلية.

ويقول البيروقراطية المحلية الثرية تنعم بمستوى عال جداً ومسرف لاستهلاك واردات باهظة الكلفة من غذاء وأزياء.

– تدفقات رأس المال إلى الحسابات الشخصية فى الخارج تتم فى تشابك مع الاستثمارات الدولية دون إعادتها إلى بلد المنشأ.



ويقول

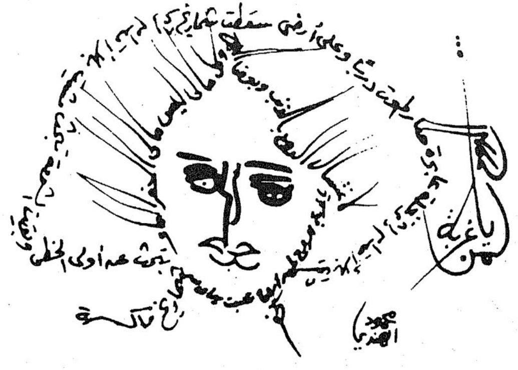
وهكذا تنشأ، ما يسميها، دولة النهب والسلب predayery atate .. انها ازمة أمة تخضع لاستبداد دولة.. عناصر الطبقة الحاكمة أقرب لأن يكونوا مرتزقة حيث نجد سيطرتهم على مناصب السلطة والتميز تخضع لرحمة قرارات نزوية لسلطة مطلقة.. انها سياسة الكروش التى لا تمتلىء Yhe politicay the Belly إذ أن النخبة عاطلون من أى استراتيجية سوء تكديس الثروات نهبا من بلدهم..

وارى أنها غربة قاسية قياسا إلى زمن النشأة.

وبعد

هاهى أحداث القرن العشرين مبسوطة أمامنا بكل أصدائها وأخطائها وتفاعلاتها.. وهاهى نذر أو بشائر ألفية جديدة.. هل توخينا، المثقفون والأحزاب، جرأة المراجعة النقدية الصادقة لثقافتنا ومواقفنا وانحيازاتنا لنستكشف حقيقة الأسباب التى قادتنا إلى ما نحن فيه؟ مثل هذه المراجعة النقدية إبداع فكرى أصيل.

أومن بأن المثقفين بقدر ما هم منارة التنوير والتقدم هم المسئولين أولا وأساساً عما يصيب المجتمع ويعوق مسيرته إذا ما غيبوا الحقيقة وهم يعلمونها.. وبدلا من أن نسأل لماذا لا يثور المصريون، نسأل لماذا وكيف غيب المثقفون الثورة؟



يا غربة
محمود الهندي

ملف

تسعون عاما على الثورة الروسية

تحل، هذا العام، ذكرى مرور تسعين عاماً على ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى فى روسيا (١٩١٧)، التى كانت أول ثورة اشتراكية، قائمة على أساس الفكر الماركسى، فى التاريخ. وهى الثورة التى شكلّت الاتحاد السوفيتى، الذى ظل القوة العظمى الثانية فى العالم، والداعم الأعظم لحركات التحرير الوطنية فى العالم الثالث والبلاد العربية، إلى أن أفلحت مؤامرات النظام العالمى الجديد فى تفكيك هذا الاتحاد السوفيتى ودول أوربا الشرقية إلى دول صغيرة متناثرة، ترغب فى السير فى الطريق الرأسمالى.

وإذ نحتفل بهذه الذكرى، لا نلقى اللوم كله فى هذا الطور المؤسف، على مؤامرات النظام العالمى الجديد وحدها. فلاشك أن أسباباً داخلية - فى صلب طبيعة هذه النظم الاشتراكية - قد ساهمت بقسط وافر فى هذا الانهيار والسقوط.

ربما سقطت النظم، لكن الاشتراكية لَم تسقط، لأن الاشتراكية هى حلم شعوب الأرض.

نقدم - فى هذا الملف الصغير - رؤيتين لاثنين من كبار الاشتراكيين المصريين، تحية لمعنى هذه الثورة فى حياة البشر، وتحية لفكرة الاشتراكية، التى هى خفقة كل المقهورين فى عالمنا القاهر.

«أدب ونقد»

ملف

عن البيان الشيوعى
بيان لمن.. وعن من؟ (❖)

د. رفعت السعيد

فى تعليق مثير للإعجاب على تبنى الفلاسفة الألمان للأدبيات الاشتراكية الفرنسية أورد «البيان الشيوعى» العبارة التالية البالغة الدلالة.

«دخل الأدب الاشتراكى والشيوعى الفرنسى - الذى يولد تحت ضغط بورجوزية مسيطرة تعبيراً عن النضال ضد هذه السيطرة - إلى ألمانيا فى حقبة كانت فيها البرجوازية قد شرعت أو كادت فى النضال ضد الحكم الإقطاعى المطلق.

التهم الفلاسفة وأشباه الفلاسفة والأدباء الألمان هذا الأدب بشراهة، ونسوا - فقط - إن هجرة هذا الأدب من فرنسا إلى ألمانيا لم تتزامن مع هجرة شروط الحياة الفرنسية إليها. وهكذا فقد هذا الأدب الفرنسى عندما لامس شروط الحياة الألمانية **كل مدلول عملى فورى واتخذ مظهراً أدبياً محضاً.**

ولابد والحالة تلك أن يبدو كتأمل عقيم للمجتمع الفعلى..

... العمل الفريد الذى أنجزه الأدباء الألمان اقتصر على جعل الأفكار الفرنسية الجديدة متفقة مع وعيهم الفلسفى القديم أو بالأحرى اقتصر على انتحال الأفكار الفرنسية دونما تخل عن أفكارهم الفلسفية الخاصة.

لقد تمثلوا هذه الأفكار كما يتمثل المرء عادة لغة أجنبية بالترجمة إلى لغته الأم» (ص٤٥).

هذه العبارة تدعونا وتلح علينا أن نتأملها ونحن نتعامل مع نصوص وأفكار ومعطيات «البيان الشيوعى» الذى صدر فى أوربا.. ومنذ قرن ونصف من الزمان.. نتأمل العبارة ونسأل أنفسنا عن مدى تطابق الزمان والمكان...

وعن تفاوتات أخرى عديدة تدعونا إلى التعامل بحذر حذر مع محاولات تقديس النص واضعين فى الاعتبار كذلك أن مؤلفي البيان الشيوعى قد كتبا فى عام ١٨٧٢ أى بعد أربعة وعشرين عاما فقط ،أنه فى الإمكان إدخال تعديلات تتعلق بالتفاصيل على هذه الفقرة أو تلك من فقراته.

والبيان نفسه يعلن **بأن التطبيق العملى خاضع دائماً وفى كل مكان للشروط المعطاه تاريخياً**. إذن فنحن لا نعلق البتة أهمية خاصة على التدابير الثورية التى اقترحناها فى نهاية الفصل الثانى. ولو كان لنا أن نعيد كتابة هذا المقطع اليوم لكتبناه بشكل مختلف من نواح عدة. لقد شاخ هذا البرنامج اليوم فى بعض نقاطه بتأثير التقدم الضخم الذى أنجزته الصناعة الكبرى خلال الخمس والعشرين عاما الأخيرة، والتقدم الموازى الذى أنجزته الطبقة العاملة من حيث تنظيمها فى حزب ، وأيضا بتأثير التجارب العملية لثورة نوفمبر أولا، ثم التجارب العملية الأكثر أهمية التى تركتها كوميونة باريس«(١) وأيضا نطالع فى ذات المقدمة ،وإذا كانت الملاحظات المتعلقة بموقف الشيوعيين من مختلف أحزاب المعارضة مازالت إلى اليوم صحيحة من حيث مبادئها، **فأنها شاخت من حيث تطبيقها لأن الوضع السياسى تغير كلياً**»(٢).

نراجع ونتأمل العبارات التى وضعنا تحتها خطاً:

● إن التطبيق العملى خاضع دائماً.. وفى كل مكان للشروط المعطاة تاريخيا (ونؤكد ونتأكد من أهمية عنصر الزمان وعنصر المكان عند مراجعة وثيقة كهذه، أو التعامل معها.. أو محاولة إعمال نصوصها).

●● لو كان لنا أن نعيد كتابة هذا المقطع اليوم لكتباه بشكل مختلف (ولاشك إن الاختلاف سيتضاعف أضعافا مضاعفة مع توالى السنوات لتصل إلى قرن ونصف ومع اختلاف معطيات المكان).

●●● لقد شاخ هذا البرنامج اليوم فى بعض نقاطه (كان ذلك بعد ٢٤ عاما.. فماذا بعد ١٥٠ عاما؟)

وعلى أساس من تأملنا لكل ما سبق سنحاول الكتابة عن البيان الشيوعى.

●●●

عن طبيعة الوثيقة

يقول مؤلفا الوثيقة إنها برنامج مفصل «رابطة الشيوعيين جمعية عمال أممية.. وفى المؤتمر المنعقد بلندن فى نوفمبر ١٨٤٧ كلفت الموقعين أدناه بكتابة برنامج مفصل للحزب، **نظرى وعملى**»(٣)

فهل جاءت هذه الوثيقة برنامجا مفصلا. نظرى وعملى؟

أعتقد لا . على الأقل برؤيتنا الحالية لمعنى وأسلوب صياغة، ومضمون، ومحتوى البرنامج «المفصل» و«النظرى» و«العملي».

إننا فى واقع الأمر إزاء «تحليل» أو «تقرير» سياسى يتحدث عن مجتمعات ما قبل الرأسمالية، وعن نشأة الرأسمالية والرأسماليين على أنقاض النظام الاقطاعى. وعن موقف الشيوعيين من البروليتاريا، وعن اشتراكية البرجوازية الصغيرة ومختلف الاشتراكيات غير العلمية. وحتى عندما تتحدث الوثيقة عن موضوع «التحالفات» فإنها تكتفى بأيراد «وصف» مجرد «وصف» سردى وغير تحليلى لمواقف الشيوعيين فى مختلف بلدان أوربا من قوى المعارضة غير الشيوعية.

ولا برنامج بالمعنى المفهوم لكلمة برنامج عندنا الآن.

فقط هناك عشرة مطالب مختصرة جداً، وغير موضحة بالشكل الكافى بحيث يمكن التمعن فيما وردت فى صفحة ٤٧ .. باعتبارها توجها عاما.

ذلك إن ماركس وانجلز اكتشفا – على الأرجح أنه من المستحيل .. ومن غير المنطقى، وغير العلمى صياغة برنامج واحد.. لكل أوربا.

فكتبا «ومن البديهى أن تختلف هذه التدابير (التى لابد منها لقلب نمط الإنتاج كله رأسا على عقب».

أن تختلف تبعاً لاختلاف البلدان، غير أنه فى الإمكان تطبيق التدابير التالية تطبيقا «عاماً» «جداً» فى البلدان الأكثر تقدماً».

ولم يتجاسر مؤلفا البرنامج على تجاوز .. لا «الزمان» ولا «المكان».

فاعترفا أن هذه التدابير المقترحة.. «تبدو من الزاوية الاقتصادية ناقصة، مهزوزة، لكن بإمكانها أن تتجاوز نفسها فى مجرى الحركة»(٤).

ونتأمل : رابطة الشيوعيين جمعية عمال «أممية» بمعنى أنها تضم عمالا من بلدان عدة كلفت ماركس وإنجلز بكتابة برنامج «مفصل» «نظرى و«عملى».

لكنهما وكانا على حق تماما وجدا أنه من المستحيل اختراق حاجز الزمان بإعداد برنامج متكامل ليعالج ظواهر وقضايا لم تنضج بعد نضجا كافيا. وأنه من المستحيل كذلك اختراق حاجز المكان باقتراح تدابير تسرى على مختلف البلدان. فيقول البيان ،إن التطبيق العملى لهذه المبادئ دائماً وفى كل مكان يخضع للشروط المعطاة تاريخيا، ومن هنا فقد اكتفى مؤلفا البيان بتقديم إشارات موجزة جداً مؤكدين على أمرين مهمين:

. إنها تدابير ناقصة ومهزوزة.. تتجاوز نفسها فى مجرى الحركة.

- تختلف .. تبعا لاختلاف البلدان.

ثم قدمنا نصوصا أو تدابير فى غاية الاختصار من نوع:

- ضرائب باهظة وتصاعدية.

- إلغاء حق الوراثة.

لقد تجاوز ماركس وانجلز عن وعى وتعمد حد. التكليف ووجدا نفسيهما عاجزين عن إعداد برنامج مفصل نظرى لكل بلدان أوربا.

وإذ نتأمل عبارة واردة فى مقدمة الطبقة الألمانية (١٨٩٠) التى صاغها إنجلز تحت عنوان ،تحرر العمال من صنعهم، نقرأ عبارة تفسر لنا كل شئ .. العبارة تقول ،ولذا لم يكن فى وسع الأممية أن تنطلق مباشرة من المبادئ المعروضة فى البيان. إذ كان عليها أن تتبنى برنامجاً لا يغلق الباب فى وجه النقابات الإنجليزية. ولا فى وجه البرودونيين الفرنسيين والبلجيكيين والإيطاليين والأسبان، ولا فى وجه اللاساليين الألمان. وهذا البرنامج - ديباجة نظام الأممية الأساسى - صاغه ماركس بمهارة استحقت ثناء باكونين والفوضويين أنفسهم،.

هكذا يمكن للأمر أن يتضح أكثر، فالوثيقة ليست موجهة لرابطة الشيوعيين وحدها. وإنما لمجمل القوى والاتجاهات والتوجهات التى تقول أو حتى تزعم أنها تقبل بالاشتراكية.. من الحركة العمالية الإنجليزية حتى الحركة الفوضوية، ومن ثم كانت ،العمومية، و،الإيجاز، وعدم الدخول فى أى تفاصيل متعلقة بالاختلافات الأيديولوجية أو القطرية.. فاكتفيا، - وكانا على حق تماما - بتحليل سياسى.. وليس ببرنامج.

●●●

●● عن الأسلوب:

ولعل من حق القارئ.. الذى تعرف على ماركس وانجلز فى كتاباتهما الرصينة.. رأس المال، الأيديولوجية الألمانية، أصل العائلة وغيرها أن يتوقف عند هذا الأسلوب الذى صيغ به هذا التحليل أو التقرير السياسى.

هنا نحن إزاء كاتبين سياسيين يستخدمان مفردات غير علمية وربما أيضاً غير لائقة.

ونتأمل عبارات مثل:

"ولكى يجتذب هؤلاء الارستقراطيون الشعب إليهم، لوحوا بخروج المتسولين البروليتاريين لهم، لكن ما أن مشى الشعب وراءهم حتى لمح شارات الاقطاعية العتيقة مرسومة على مؤخراتهم ، فتولى عنهم وقهقة السخرية على شفتيه"(٥).

ومثل: "لقد انتهى هذا الاتجاه "اشتراكية البرجوازية الصغيرة) فى آخر مراحل تطوره إلى ذلك الصداع الحقير الذى يعقب نشوة السكر"(٦).

ومثل : "بهذه الطريقة خصوا الأدب الفرنسى الاشتراكى والشيوعى خصياً"(٧)

وأيضا: هذه الاشتراكية الألمانية التى أخذت تمارينها الشبيهة بتمارين تلميذ غشيم مأخذ الجد والوقار البالغين وروجتها بدجل لا حد له، فقدت شيئاً فشيئاً براءتها الدعية(٨).

وكذلك "وجميع الكتابات الاشتراكية والشيوعية المزعومة، المتداولة فى ألمانيا تنتمى باستثناء النادر القليل إلى هذا الأدب القذر والمثير للأعصاب"(٩).

لكنه يتعين علينا ونحن نبدى دهشتنا من هذا الأسلوب غير اللائق فى "برنامج" سياسى أنه تزداد دهشتنا إذ نلاحظ أن أغلب وربما كل هذه الجمل قد تجاورت معا فى صفحات محدودة من صفحة ٤٩ إلى صفحة ٥٧.

وحشرت نفسها فى موضوع واحد بعنوان "الأدب الاشتراكى والشيوعى" ، فهل كانت هذه الصياغات المبالغة فى تجاوزها لحدود الكتابة اللائقة منتسبة لأحد الكاتبين انفرد بصياغة هذه الصفحات المحدودة، بينما فرض الآخر أسلوبه الرصين على بقية الصفحات؟

لكن افتراضاً كهذا يفرض علينا مراجعة متأنية للأسلوب المميز لكلا الكاتبين لنحدد.. أيهما صاحب هذا التراث من الجمل غير الرصينة.. وربما غير المعقولة.

●●●



،رابطة الشيوعيين .. جمعية عمال أممية،

اسم كبير جداً.. ووصف أكبر.

لكننا يجب أن نلاحظ أننا نتعامل لا مع الأسماء الضخمة، وإنما مع منظمة بدائية الفكر، وبدائية التكوين وبدائية المحتوى.

فإذا كنا نتحدث عن أوضاع الحركة فى ١٨٤٧ فإنه يتعين أن نشير إلى أن كلمة ،شيوعى، آنذاك لم تكن تحمل ذات المعنى ولا ذات المحتوى الذى حملته فيما بعد. ذلك أن ماركس وانجلز كانا لم يزالا فى طور التكوين.

وكذلك حركتهما، واحتاج الأمر عديدا من السنوات (حتى سبتمبر ١٨٦٨) حتى ينعقد مؤتمر بروكسل ويستطيع ماركس وانجلز أن يفرضا مفهوما اشتراكيا حقاً. ويستصدرا قراراً ،حول الضرورة الاقتصادية لتحويل الأرض والمناجم والسكك الحديدية إلى ملكية جماعية ليناديا بصراحة بالمبادئ الاشتراكية فى الأممية (الأولى)(١٠).

وحتى فى هذه المرحلة الأكثر نضجا كانت الحركة الأممية لم تزل بدائية التكوين، وبدائية المحتوى.

فإذا ما راجعنا ميزانية اتحاد العمال الدولى من أول سبتمبر ١٨٦٦ إلى أبريل ١٨٦٧. وتأملنا المساهمين فيها نجد:

جمعية الاسطرجية. جمعية صناع السلال. مجلدو الكتب. صناع البراميل. صناع الأحذية فى وست إند (١١)..

إلخ. وهكذا جمعيات وجماعات ليست فقط بدائية التكوين، وإنما أيضا تضم عمال مهن بدائية تستخدم آلات بدائية وتنتج سلعا بدائية..

ونكتشف أننا إزاء تكوين بدائى من صناع لمهن بسيطة وبدائية.. ويبدو حجم الكلمات أكبر بكثير من حجم التكوينات المنضوية تحت لوائها..

ونعرف حجم ،الأممية، الحقيقى فى عام ١٨٦٧ إذ تكتشف أن إجمالى أصول ميزانيتها فى هذا العام لم يكن سوى ٦٣ جنيها، ١٥ شلنا، ٨ بنسات وفقط(١٢).

ويزهو ماركس كثيرا إذ يثبت فى محضر اجتماع مجلس الأممية فى ٢٥ سبتمبر ١٨٦٦ أنه قد حصل على ،خمس جنيهات، هى المساهمة السنوية للسيد صامويل مور رجل الصناعة فى مانشستر،(١٣).

فإذا ما كان هذا هو الحجم الحقيقى والمحتوى الفعلى بعد ازدهار الحركة، وبعد مضى

عشرين عاما على صدور البيان الشيوعى، فإن بإمكاننا أن نقرر أن الحال فى سنة صدور ،البيان، كان أكثر تواضعا بكثير سواء من حيث المحتوى الفكرى أو المحتوى العضوى أو المهنى.

ولاشك أنه من الضرورى ونحن نحاول فحص ،برنامج، ما أن نفحص طبيعة وحجم ومقاس التنظيم الذى تزين بهذه الوثيقة، ولاشك أن ،الوثيقة، تعكس بالضرورة ،مقاس، وفكر وحجم هذا التنظيم.

ومن الضرورى أيضا ملاحظة أن هذه الوثيقة كانت تستهدف أيضا إحتواء قوى أخرى متناقضة فى مواقفها، بل ومتصارعة أيضا فيما بينها كما أوضح انجلز فى مقدمته لطبعة ١٨٩٠ الألمانية.

•••

عن المحتوى:

١ - الموقف من الدين والأسرة:

.. وبغض النظر عن أوربية المحتوى، فإن عبارات عديدة وردت فى هذه الوثيقة كانت ولم تزل قادرة على إيذاء كل من يتعلق بأذيالها.

هل هى حماسة الشباب؟

أم هى تلك الانطلاقة فى الكتابة غير المتأنية التى أوردت عبارات مثل تلك التى أوردناها عند حديثنا عن الأسلوب؟

أم هى تعبير عن أسلوب كان سائدا فى ذلك الحين؟

أيا كانت الأسباب فإننا هنا فى واقعنا الحالى.. فى تمايز المكان.. وبرغم ما مضى من زمان نجد أن كثيرا من التوجهات التى أوردها البيان ، متسمة بالاندفاع غير المقبول، أو المستحيل قبوله بالنسبة لنا على الأقل.

ونتأمل بعضا من عبارات نختلف معها، ونعتبرها غير صحيحة، بل وغير لائقة وهى بالقطع غير مفيدة.

عبارات مثل:

- ،لقد تقوضت شروط حياة المجتمع القديم فى شروط حياة البروليتاريا.. إن إسترقاق الرأسمال الحديث للعامل.. قد جرد البروليتارى من كل طابع قومى. وما القوانين والأخلاق والدين فى نظره سوى أوهام برجوازية تتخفى وراءها مصالح

برجوازية كبيرة»(١٤).

وعبارة أخرى تقول : «ولم تكن فكرة حرية المعتقد، والحرية الدينية إلا إيذانا بسيطرة المزاحمة فى مجال المعرفة»(١٥).

وعبارة ثالثة «نعرف كيف كان الرهبان يحشون الآثار الكلاسيكية الوثنية بحكايا مقدسة كاثوليكية سخيفة»(١٦).

ثم نورد عبارة أكثر طولا لكنها أكثر تجاوزاً: «لا شىء أدعى للضحك من ذعر برجوازيتنا الأخلاقى جدا أمام ما يزعم من إشاعة الشيوعيين الرسمية للنساء.. لا يحتاج الشيوعيون لإدخال إشاعة النساء، إذ أنها كانت تقريبا دائماً موجودة.. الزواج البرجوازى فى حقيقته هو إشاعة النساء المتزوجات، ثم «ولذا فإن أكثر ما قد يمكن إتهام الشيوعيين به أنهم يريدون المشاعة رسمية ومعترفا بها علنا محل إشاعة مموهة نفاقاً».

والغريب فى الأمر أن ماركس وانجلز لم يكونا يقصدان هذا المعنى تحديدا. بل على العكس من ذلك.

فهما يعودان فيؤكدان «إن القضاء على نظام الإنتاج الراهن يقضى على مشاعية النساء المنحدرة منه».

.. أنه الأسلوب الملتوى وغير المستقيم الذى يمكن الخصم من عنق الكاتب.. دونما مبرر منطقى.

(ب) الاشتراكية متى؟

وبرغم الفهم العلمى لماركس وانجلز فى نظرتهما للتطور التاريخى للمجتمعات إلا أن «الحماس» الشاب قد أطل متعجلا فى كتابة البيان.

أكثر من مرة يؤكدان، يلحان ، يصممان أن الاشتراكية قادمة فوراً. وأن الراسمالية زائلة فوراً.

ونقرأ «من الواضح إذن أن البرجوازية لم تعد قادرة على أن تظل لوقت أطول الطبقة السائدة على المجتمع، فهى لم تعد قادرة على أن تحكم .. لم يعد المجتمع قادراً على العيش تحت سيطرة البرجوازية، وبعبارة أخرى لم يعد بقاء البرجوازية ملائما لبقاء المجتمع»(١٧).

وأيضاً «إن البرجوازية لم تصنع أسلحة إعدامها وحسب، بل انتجت أيضا الرجال

الذين يستخدمون هذه الأسلحة العمال العصريين أو البروليتاريا»(١٨).

وكذلك : «الا يمكن للثورة البرجوازية الألمانية إلا أن تكون تمهيدا فورياً لثورة البروليتاريا»(١٩)

ثم يكتمل البناء الدرامى بالعبارة الحاسمة «فلترتعد فرائص الطبقات الحاكمة أمام الثورة الشيوعية»(٢٠).

وعبارة «ان شبحاً يرعب أوربا هو شبح الشيوعية»(٢١).

ولعل من حق ماركس وانجلز علينا أن نستعيد الكثير من كتاباتهما الأكثر نضجا والأكثر هدوءاً وتأنيا فى الحديث عن الثورة المرتقبة.

.. والفارق واضح تماما بين كتابة أكاديمية متأنية ورصينة.. وكتابة سياسية مفعمة بالحماس والفارق واسع بين الحماس السياسى والأكاديمية العلمية.

وكان ما سبق، كل ما سبق تأملا فى النص.

فهل نتأمل فى علاقتنا نحن بالنص وبالموقف؟

● نعترف فى البداية بتقديرنا العميق للموقف المبدئى لماركس وانجلز بشأن تعلق النصوص بالزمان، وتأكيدهما أن النصوص تشيخ بمضى المدة.

●● ونؤكد كذلك تقديرنا العميق للموقف من مكانية النص اى تعلقه بالمكان.. فإذا كانت مغايرة المكان داخل اوربا . اى من فرنسا لألمانيا تجعل النصوص والمواقف بحاجة إلى تغيير، فما بالنا بمغايرة مكانية كتلك التى تتمثل فى الفارق بين بلد أوربى أو بالدقة نص متعلق ببلد أوربى وعلاقته بمصر.. أو موريتانيا.. أو جيبوتى؟

●●● كما نؤكد كل هذا التقدير، نؤكد معه عدم التزامنا بالنصوص الخارجة على النص المفترض لكتابة أكاديمية كتلك التى أوردناها فيما سبق.

●● كما نؤكد أختلافنا العميق مع النصوص المتعلقة بالموقف من الدين. ليس فقط بسبب من اختلاف النظرة للمعتقد الدينى، وإنما لأن رجال الدين الأوربيين كانوا ظهيرا للاقطاع، وكانت الكنيسة الكاثوليكية بالذات ركنا أساسيا من أركان النظام الأقطاعى الأوربى.. ولعل هذا يفسر سخط «البيان» على الكاثوليكية بالذات أكثر من غيرها. بينما كان رجال الدين فى بلادنا جزءاً من حركة التحرر الوطنى، بل وقادة لها فى بعض الأحيان.

ونؤكد إختلافنا مع فكرة ان الأخلاق والتقاليد ونظام العائلة تتغير ببساطة كلما تغيرت العلاقات الاجتماعية كما يغير الناس جواربهم.. لقد مرت حقب عديدة بينما

تبقى قيم اجتماعية وإخلاقية راسخة، بل وتزداد رسوخاً. بل لعل ماركس وانجلز كانا سيشعران بدهشة عميقة لو لاحظا تلك العودة الجارفة للقيم الدينية فى ربوع أوربا وأمريكا مع - وبرغم التقدم - المادى (الصناعى - الاقتصادى - العلمى - المعرفى .. إلخ) الجارف.

ومن ثم فإن عبارة مثل : فكل العلاقات الاجتماعية التقليدية والباهتة تتفسخ، ومعها تتفسخ مواكب تصوراتها وافكارها العتيقة الوقورة، والعلاقات التى تحل محلها لا تلبث أن تهدم حتى قبل ان يصلب عودها . وكل ما كان مكيناً ومستقرا يتطاير هباءً منثوراً، وكل ما كان مقدساً يغدو مدنسا، وأخيرا يضطر الناس إلى فحص شروط حياتهم وعلاقاتهم المتبادلة بأعين صاحية، عبارة كهذه تبدو بالنسبة لنا غير واقعية حتى فى علاقتها بالواقع الأوربى الواقعى.

ونظرا لاختلاف الأوضاع، نختلف مع الفكرة التى وردت فى «البيان» حول القومية. أوربا هذا الزمان كانت دولا استعمارية نزعاتها القومية اتخذت تجليات رجعية وعدوانية وتوسعية، اما المستعمرات او التى لم تزل تعانى من الهيمنة والتهميش .. والضغوط والمنافسة الاقتصادية غير المتكافئة، والغزو الثقافى إلخ فإن نزعاتها القومية وتمسكها وتماسكها القومى يتخذان طابعا تحرريا وتقدميا . وهكذا فإن عبارة مثل : «لا يتميز الشيوعيون عن الأحزاب البروليتارية الأخرى إلا .. فى انهم فى مختلف نضالات البروليتاريين القومية يضعون فى المقدمة ويغلبون المصالح المستقلة عن القومية»(٢٢).

وعبارة «العمال لا وطن لهم» (٢٣) هى عبارات لا تخصنا، ولا يمكن أن تخصنا ليس فقط من منظور مشاعرنا نحن، وإنما أيضا من منظور ماركس وانجلز.

●●● وكما تتمايز المجتمعات، تتمايز الطبقات والقوى الاجتماعية والموقف منها، فإذا كان البيان الشيوعى يؤكد فى حسم «إن الطبقات الوسطى ليست ثورية، بل محافظة، لا بل رجعية»(٢٤) فإن هذه العبارة لا تنطبق تماما فى كثير من الحالات مع أوضاعنا.

ومن باب أولى فإن الموقف الحاد جداً من البرجوازية الصغيرة «لقد أغرقت أقدس انفعالات الوجد الدينى والحمية الفروسية ورقة البرجوازية الصغيرة الرخيصة فى صقيع الحساب الأنانى»(٢٥) لا يسرى علينا، ولا يمكنه أن يفعل ذلك.

كذلك فإن عبارة مثل «فى البداية لا سبيل لتحقيق ذلك (سيطرة البروليتاريا على أدوات الإنتاج) إلا بالانتهاك الاستبدادى لحرمة حق الملكية وعلاقات الإنتاج البرجوازية»(٢٦) سوف تحتاج من الجميع محاولة وضع تفسير منطقى وديمقراطى،

لكلمة استبدادى.

وفيما عدا ذلك يمكننا القول إننا نتفق مع التحليل العلمى الرصين لعملية تحول النظام الاقطاعى «الأوربى» نحو الرأسمالية ولدور الرأسمالية الأوربية فى ذلك. وللتحليل الاقتصادى لطبيعة الاستغلال الرأسمالى.. وهو ما نعتقد أنه الجوهر الأساسى. والمقصود الفعلى من «البيان الشيوعى».

●●●

وبعد..

إن العبقرية الأساسية لمؤلفى البيان الشيوعى تكمن فى كونهما لم يلتزما بالتكليف الصادر لهما من «رابطة الشيوعيين» بإعداد برنامج «مفصل وعملى» تحايلا على التكليف لإدراكهما باستحالة إعداد برنامج مفصل لكل بلدان أوربا.. فأعدا تحليلا سياسيا عاما، وأكدا أن مفارقة المكان تستعدى بالضرورة مفارقة الفهم والتطبيق.

وأدراكا بفكر ثاقب أن الألفاظ .. والمواقف والأفكار تشيخ بمضى الزمان.

وهذان هما الدرسان الأساسيان اللذان يتعين علينا اليوم أن نتفهمها تماما، ليس فقط ونحن نحتفل بمضى مائة وخمسين عاما على صدور البيان الشيوعى، وإنما كذلك فى كل تعامل لنا مع النصوص ومع المواقف ومع التحليلات السياسية.

لقد أكد ماركس وانجلز حتمية الالتزام بطبيعة ومعطيات الزمان والمكان.

وهذا ما نتمسك به، وما نطالب الجميع أن يتمسكوا به كى يصبحوا ماركسيين حقا، وليس مجرد سلفيين يقدسون نصوصا لا تخصهم، نصوص يؤكد أصحابها أنها «شاخت» وأنها متعلقة بأوضاع أخرى.. وأماكن أخرى.

وهكذا تكون دراستنا للبيان الشيوعى بعد مائة وخمسين عاما على صدوره.. فرصة ليس لتقديس النص، وإنما لتحليله تحليلا انتقاديا، والتعرف على نقاط الضعف فيه، قبل أن نمجد نقاط القوة.. والصحة.

وتكون أيضا مناسبة للتأكيد على أن هذه النصوص وأمثالها هى مجرد اجتهادات تتعلق برؤية كتابها لواقعهم فى زمان ومكان محددين، وأن واجبنا إزاء هذه النصوص هو الإعتداء ، بأسلوب التفكير، وطريقة التحليل، والتعرف على مواقف أصحابها من حالات محددة، فى زمان محدد، ومكان محدد.

الاهتداء.. وليس الإقتداء.

هذا ما نعتقد أنه صواب.

أو بالدقة ما نعتقد أنه علمى.. أو ماركسى

بل نعتقد أن البعض الذى يتعبد النص باعتباره «مقدسا» لا يجافى العقل والعلم والزمان والمكان والواقع فحسب وإنما يجافى الماركسية أيضا.

.. ونعود لنسأل هؤلاء أن يطالعوا العبارة التى بدأنا بها هذا المقال.

●●●

وتمضى مائة وخمسون عاما

وتبقى هذه الراية التى رفع أصحاب هذه الوثيقة أعلامها تبقى برغم كل الضغوط والعدوات والنكسات قادرة على البقاء .. وعلى إلهام ملايين البشر بحلم جميل ، لغد أكثر جمالا.

تبقى قادرة على مواجهة الانتكاسات، وعلى تحدى حتى نفسها كى تصوب الأخطاء.. وتنطلق مجددا إلى آفاق الحلم الاشتراكى المنتظر.

تبقى، ليس لأننا نصر على التمسك بها، وإنما لأنها نابعة من ضرورة واقعية.. ولأنها تعبير صحيح وحى عن أمل جماهير واسعة فى غد يحمل معه للإنسان حياة أفضل.

وكلما ازدادت الرأسمالية توحشا. وكلما تصاعدت وحشيتها أدركت جماهير أوسع فأوسع حاجتها إلى الالتحاق بركب المستقبل الاشتراكى.

إن فكرة ما.. ونظرية ما غير الماركسية لم تستطع أن تستجمع معها وفى إطارها وتحت راياتها ملايين من البشر فى كل أرجاء المعمورة كما فعلت الماركسية.

ولم يكن ذلك من قبل المصادفة.

وهكذا يحق لنا أن نحتفى وأن نحتفل بالعيد الخمسين بعد المائة لبداية هذه المسيرة، التى بدأت ولم تزل تواصل مسيرتها نحو غد اشتراكى.

لكن اليقين وحده لا يكفى والأصرار كذلك لا يكفى، وإنما نحتاج الآن أكثر ما نحتاج إلى الوعى ليس الوعى بالحاجة إلى الماركسية.. وإنما الوعى بضرورة تطويرها.. والتفاعل معها، وبها مع واقعنا الواقعى زمانا ومكانا لنصوغ من هذا التفاعل - وفى كل بلد على حدة- صياغتنا الماركسية الخاصة بنا، والملائمة لظروفنا ، والنابعة من واقعنا.

هذا هو الدرس.

هذا ما أكده مبدعا البيان الشيوعى منذ مائة وخمسين عاما، لكننا نسيناه فى غمرة الحماس والتقديس للنص، والخضوع المرير المذاق لرؤية أحادية فرضت نفسها على الجميع وكأنها «فاتيكان» يوزع صكوك الغفران، ومعها تعاليم واجبة النفاذ.

هذا هو الدرس .. المرير.. الذى قادنا إلى ما نحن فيه من انتكاسة أشد مرارة والذى منه نتعلم كيف نتعامل مع النص، وكيف نستلهم منه منهجية التفكير، وليس حرفية التقليد.

.. ونعود إلى بهجة الاحتفال بالعيد المائة والخمسين.. فنتماسك ، كى نتمسك بقدرتنا على فهم ماركسى صحيح للماركسية. فهم يتخطى قدسية النص، ويتخطى التقليد، وفرض التماثل بين غير المتماثلين، ويرتبط بالواقع المحلى ويلتزم به.. فهم يصوغ لنا ماركسيتنا الملائمة لنا.

وبهذا نكون قد أقمنا الاحتفال الحقيقى.

هوامش:

(*) سنعتمد دوما فى الحديث عن «البيان الشيوعى» على الترجمة للبيان بقلم الأستاذ عفيف الأخضر والذى قال إنه ترجم الفصل الأول منها نقلا عن الترجمات الفرنسية الأربع ، وفى حالة وجود خلاف بينها رجع إلى الأصل الألمانى، أما بقية الفصول فقد روجعت بدقة على الأصل الألمانى وبهذا يؤكد المترجم : «إن هذه الترجمة أفضل من الترجمات الفرنسية المتداولة وتضاهى على الأقل الترجمة الانجليزية التى راجعها إنجلز بنفسه» وقد صدرت هذه الترجمة بمناسبة مرور مائة وخمسين عاما على صدور البيان الشيوعى «عن دار الثقافة الجديدة» القاهرة ١٩٩٨.

(١) ص٦

(٢) ص ٧

(٣)ص ٥

(٤) ص٤٧

(٥) ص ٥٠

(٦) ص٥٣

(٧) ص ٥٤

(٨) ص٥٥

(٩) ص ٥٧

(١٠) محاضر المجلس العام للأممية الأولى ١٨٦٦ - ١٨٦٨ - ترجمة حمدى عبد الجواد.



دار الثقافة الجديدة: القاهرة (١٩٧٨) ص ١٠

(١١) المرجع السابق ص, ٢٨٤

(١٢) المرجع السابق. ص ٣١٢

(١٣) المرجع السابق ص ١٩

(١٤) البيان الشيوعى - المرجع السابق - ص ٣٣.

(١٥) ص ٤٦

(١٦) ص ٥٤

(١٧) ص٣٥

(١٨) ص ٢٧

(١٩) ص ٦٦

(٢٠) ص ٦٦.

(٢١) ص ١٧.

(٢٢) ص ٣٧

(٢٣) ص ٤٤

(٢٤) ص ٣٢

(٢٥) ص ٢٢

(٢٦) ص ٤٧

فلاديمير إيلتش لينين
الفكر والنضال

محمود أمين العالم

لا نكاد نجد إنسانا ارتبط فكره العميق بنضاله الثورى الجسور، كما نجد ذلك فى حياة فلاديمير إيلتش لينين.

فبالفكر النظرى والممارسة الثورية راح يقتحم الظروف الموضوعية المحددة فى بلاده، فى عصره ويستخلص قوانينها العامة ويحقق بهذا إضافة خلاقة لتراث الفكر الثورى، ويدفع بحركة التاريخ ، ويتنبأ بمساراتها المقبلة، بل يظل فى عصرنا الراهن كله، حقيقة متجسدة ملهمة حية.

كانت نظرية ماركس وانجلز - فى الحقيقة - انتقالا بالفكر الاشتراكى من شطحاته الخيالية إلى مصاف العلم المنضبط.

أما اللينينية فهى تطوير لهذه النظرية العلمية، وتطبيقها على ظروف محددة جديدة، هى ظروف انتقال الراسمالية إلى مرحلة الامبريالية، وهى بداية انهيار النظام الراسمالى وتفجير حركات التحرر الوطنى وانتصارها وانتقال البشرية كلها من الراسمالية إلى الاشتراكية.

ومن الدراسة الموضوعية المحددة للواقع الروسى، ومن الالتحام الذاتى بحركة جماهيره، ومن الرؤية الشاملة لحركة الحياة فى العصر كله، ومن تحديد قوانينها العامة، وتنوع قوانينها الخاصة، استطاع لينين أن يضيف إلى الماركسية وإلى التراث

الثورى الإنسانى، إضافة خلاقة حقا.

«إن نظرية ماركس - كما قال لينين - ليست شيئاً كاملا لا سبيل إلى المساس به، بل أنها مجرد حجر الأساس للعلم الذى يجب على الاشتراكيين أن يطوروه فى كل الاتجاهات إذا أرادوا ألا يتخلفوا عن الحياة».

لم يحدد لينين بالدراسة الشاملة، معالم هذه النظرية دفعة واحدة، وإنما نمت مع نمو النضال، مع نمو المعرفة بقوانين الواقع المحدد، مع نمو القوى الذاتية للحركة الثورية فى روسيا وفى العالم، نمت بامتزاج فكره بالنضال الثورى، فى إطار المبادئ العامة لنظرية ماركس وانجلز.

كانت روسيا مع ميلاد لينين فى ٢٢ أبريل ١٨٧٠ مجتمعا أوتقراطيا يسوده الاقطاع، وتنمو فيه الرأسمالية، ويتحقق فى إطاره قهر بشع لعدد من القوميات.

وكانت هناك هبات تلقائية للعمال والفلاحين ، وكانت هناك ارهاصات لفكر علمى اجتماعى جديد يتمثل فى كتابات هرزن وتشير نيشفسكى وغيرهما، وكانت الماركسية قد أخذت تنتشر بفضل جهود «جماعة تحرير العمل» التى شكلها بليخانوف فى سويسرا عام ١٨٨٣، وأخذت تترجم كتب ماركس وانجلز وترسل بها سراً إلى روسيا.

على أن هذا الفكر لم يكن بعد قد امتزج بحركة الجماهير، ولم يكن بعد قد تجسد فى الظروف المحددة فى روسيا..

وعندما بدأت حياة لينين النضالية، كان على معرفة وإيمان بالماركسية ولكنه أخذ - منذ البداية - بشق طريقه الفكرى للتعرف على القسمات الموضوعية لواقع بلاده غير منعزل فى الوقت نفسه عن الحركة الذاتية للجماهير العاملة من حوله.

كانت هناك حلقات ماركسية متناثرة يغلب على نشاطها العمل الدعائى الخالص، مع مشاركة فى الهبات التلقائية للجماهير الكادحة وانغمس لينين فى هذا كله، دون أن يفقد احساسه بالحاجة إلى المعرفة النظرية المحددة بالواقع المحدد.

وكانت بداية اكتشافه الفكرى، هو رفض الفكر غير الثورى فى التطبيق بحثا عن معالم الفكر الثورى الأصيل فى التطبيق أيضاً.

ولذا بدأت معاركه الفكرية الأولى باصطدامه بالشعبويين فى كتابه المبكر «من هم أصدقاء الشعب؟».

تساءل لينين: من أصدقاء الشعب..

وأجاب : أنهم بالتأكيد ليسوا هؤلاء الشعبويين.. لماذا؟.. ذلك أنهم لا يبصرون حركة

المجتمع الروسى فى قوانينه الأساسية، لا يبصرون تطور الرأسمالية فى روسيا، ويقتصر عملهم على الدعاوى الإصلاحية، أو مغامرات الإرهاب والاغتيال الفردى، ولا يدركون القيمة الثورية للطبقة العاملة، ولا يرون هذه القيمة إلا فى حركة الفلاحين.

وفى هذا الكتاب يؤكد لينين تطور الرأسمالية فى روسيا ، ويؤكد القيمة الثورية للطبقة العاملة، ثم يحقق أول إضافة جديدة للماركسية بدعوته إلى التحالف بين العمال والفلاحين كضرورة حاسمة لانتصار الثورة.

ويواصل لينين نضاله الفكرى دون أن يتخلى لحظة واحدة عن التحامه الدائم بحركة الطبقة العاملة الروسية من حوله، وينمو لديه إدراك موضوعى بضرورة وحدة النضال، مع ضرورة نقاوة الفكر.. ضرورة توحيد الحلقات والمنظمات الماركسية فى هيكل تنظيمى موحد مسلح بخطة عمل موحدة.

ويدخل لينين السجن، فتتوافر له فرصة للتأمل العميق فى واقع الظروف النامية فى روسيا، ويشرع فى إعداد كتابه الكبير الذى كان سندا نظريا أساسيا لأى خطة نضالية تحدد بعد ذلك انه كتاب «تطور الرأسمالية فى روسيا»، الذى يدلل فيه بالتحليل الموضوعى العلمى على نمو الرأسمالية فى روسيا لا فى الصناعة وحدها بل فى الزراعة كذلك ويطور فيه نظريته الجديدة فى ضرورة التحالف بين العمال والفلاحين تحت قيادة البروليتاريا كشرط ضرورى حاسم لامكانية تحقيق الثورة الديمقراطية والاجتماعية.

ولكن .. هل يكفى هذا التحديد النظرى للظروف الموضوعية للواقع الروسى.. لتحقيق الثورة؟

هنا تبرز فى فكر لينين.. أهمية تكوين الحزب.

وفى منفاه بعد ذلك، ، أخذ يضع الخطوط الأساسية لتكوين الحزب..

وكان من الضرورى أن يواجه أولا مجموعة اخرى من النظريين الذين راحوا يدعون إلى قصر نضال الطبقة العاملة على الجانب الاقتصادى وحده .

وفى عام ١٨٩٨ انعقد المؤتمر الأول للحزب.. ولكنه لم يستطع أن يوجد الحلقات المتناثرة ، وأن يحدد برنامجا للعمل الثورى..

وبدا السؤال يلح من جديد على فكر لينين .. ما العمل من اجل تكوين حزب للطبقة العاملة؟.. كيف السبيل إلى تحقيق ذلك؟

حقا ليس للبروليتاريا من سلاح فى سبيل السلطة إلا التنظيم، ولكن يكف يتكون هذا التنظيم؟.. وما هى قسماته الأساسية؟..

ووضع لينين يده على الحلقة الرئيسية المحددة التى تمهد لتحقيق ذلك: الجريدة.. جريدة تكون أداة للتثقيف والتوعية، وتكون كذلك أداة للتوحيد والربط بين هذه الحلقات والمنظمات المتناثرة.

وهكذا انتقل لينين من تحليل الواقع الثورى إلى تحديد الوسيلة الثورية للسيطرة عليه.

وصدرت أسكرا.. الشرارة، فى ديسمبر ١٩٠٠، مرتبطة بشبكة واسعة من الأتصال الداخلى بين مختلف المنظمات والحلقات.

ومع أسكرا بدأت التوعية الحقيقة المنظمة لتكوين الحزب، ومع كتابة «ما العمل» الذى صدر عام ١٩٠٢ أخذ لينين يناقش قسمات الحزب الجديد.. أنه حزب ثورى من نوع جديد يعبر عن مصالح الطبقة العاملة، يتسلح بالنظرية وبخطة عمل محددة ولائحة داخلية منظمة لعمله، ويقوم على جهاز من المحترفين الثوريين وشبكة من المنظمات المحلية.

ولكن.. قبل ان نتحد ومن أجل أن نتحد .. لابد من تحديد الخط الفكرى الفاصل ذلك أنه بدون نظرية ثورية لا توجد حركة ثورية..

ووضع لينين برنامج الحزب .. وحدد الهدف : إسقاط النظام القيصرى وإقامة دولة ديمقراطية.. بناء مجتمع جديد، يقوم على التحالف بين العمال والفلاحين.. تحرير القوميات المقهورة فى الدولة الروسية ومنحها حق تقرير المصير بما فى ذلك حق الانفصال..

وفى هذه المرحلة من النضال من أجل بناء الحزب، خاض لينين معركة بالغة الأهمية بالنسبة لنضالنا العربى الراهن ، أنها معركة ضد مجموعة البوند.. كانت هذه المجموعة تدعى تمثيل الطبقة العاملة اليهودية وكانت ترفض دعوة الوحدة التنظيمية للطبقة العاملة، وتنادى بتكوين حزب فيدرالى للطبقة العاملة تحتفظ فيه الطبقة العاملة اليهودية بتشكيلاتها المستقلة على أساس أن اليهود فى العالم كله يمثلون قومية متميزة.

وحارب لينين بشدة هذه الفكرة، واعتبرها دعوة انفصالية رجعية وأدان ادعاء البوند بأنهم الممثلون للطبقة العاملة اليهودية، مهما اختلفت قومياتها.. وقال لينين إن



اليهود لا يكونون قومية خاصة، وليست لهم وضعية خاصة بين الأمم وأكد أن الدعوة إلى القومية اليهودية إنما هى دعوة زائفة بشكل مطلق ورجعية فى جوهرها .. وقال إن المشكلة اليهودية لا تحل بالعزلة القومية الزائفة لليهود بل بامتزاجهم واندماجهم فى قومياتهم المختلفة والانخراط فى النضال الثورى ضد الاستغلال.

وانتصر لينين على دعاوى البوند، وعلى غيرهم من دعاة الانفصال وانعقد المؤتمر الثانى للحزب ، وتمت الموافقة فيه على البرنامج وعلى بنود اللائحة باستثناء شرط الانخراط فى إحدى منظمات الحزب.

واعتبر لينين نتائج هذا المؤتمر خطوة إلى الأمام وخطوتين إلى الخلف على حد عنوان كتيبه المشهور.

واتهم المجموعة التى رفضت اعتبار الانخراط فى إحدى منظمات الحزب بأنها تريد تمييع الحزب، وتفكيك وحدته، وجعله منتدى للهواة والثرثارين.. ومن هنا بدأ الصراع التاريخى بين المنشفيك والبولشفيك.

واصل لينين نضاله الفكرى والعملى الحاسم ضد الفكر المنشفيكى من أجل قرار الطابع الثورى لبناء الحزب .. ونجح فى تحقيق ذلك فى المؤتمر الثالث عام ١٩٠٤.

ومع نضج التشكيل الثورى للحزب، كانت قد نضجت كذلك الأوضاع الثورية فى المجتمع الروسى..

وفى عام ١٩٠٥ بدأت هيئة ثورية عارمة ، وراح لينين يغذيها بفكره وتوجيهاته المحددة المباشرة.. رغم وجوده خارج روسيا آنذاك.. وفى هذه الثورة بدأت السنوات الأولى لسوفيتات العمال والجنود والفلاحين جنين بسيط تكون فى غمرة الأعمال الثورية تلقائيا.. تبينه لينين، وتنبأ بأنه سيكون الشكل الديمقراطى للسلطة الثورية الجديدة.

وكانت المرحلة تستدعى تحديا حاسما لطبيعة الأهداف الثورية، ولمراحل تحقيقها.

فكان كتابه البالغ الأهمية ،تكتيكان للثورة الديمقراطية، حدد فيه لينين مرحلتين للثورة مرحلة أولى هى مرحلة الثورة البورجوازية الديمقراطية: مهمتها القضاء على الإقطاع والإطاحة بالقيصر، وإقامة حكومة مؤقتة من العمال والفلاحين بقيادة الطبقة العاملة، تمهد للمرحلة الثانية مرحلة الثورة البروليتارية..

واختلف معه المنشفيك، ونادوا بأن تكون السلطة فى المراحل الأولى للبورجوازية، على أن تقوم البروليتاريا بدعمها فحسب، مؤكدين انه لن تتحقق الثورة البروليتارية إلا عندما تصبح البروليتاريا هى الأغلبية الساحقة وتستولى على السلطة وحدها..

ولكن ثورة ١٩٠٥ فشلت فى تحقيق أهدافها .. وراح لينين يستخلص الدروس الموضوعية والذاتية فى هذا الفشل.

وحدد لينين بدقة أسباب الفشل : إن البروليتاريا لم تستطع أن تكسب تأييد الجيش، ولم تدعم تحالفها مع الفلاحين، ولم تحسن استخدام الهبة المسلحة بجسارة أكبر.

وبعد فشل هذه الثورة، بدأت مرحلة من الانتعاش للرجعية، سواء من الناحية النظرية أو العملية.

وخاض لينين معارك حامية فى المؤتمر الرابع والخامس من أجل تحديد معالم المشكلة الزراعية دعما للتحالف بين العمال والفلاحين، ورفع شعار ضرورة مصادرة الأرض وتأميمها على حين رفع المنشفيك شعار الاكتفاء بتأجيرها للفلاحين..

وفى خلال هذه المرحلة، عكف لينين على كتابة مؤلفه الفلسفى العظيم المادية والنقد التجريبى. وعمل على المزج بين العمل السرى والعمل العلنى، وكسب مواقع بين صفوف الجماهير، وفى مختلف المؤسسات العلنية كالدوما مثلا، وفى خلال هذه المرحلة اتم دراساته الخلاقة للمسألة القومية.. وحدد مبادئها الأساسية: المساواة الكاملة فى الحقوق بين الشعوب الصغيرة وكبيرها وحق الأمم جميعا فى تقرير مصيرها بحرية تامة بما فى ذلك حق الانفصال..

وفى هذه المرحلة كذلك.. نضجت مفاهيمه حول قضايا التحرير الوطنى وأدرك قيمتها الثورية الكبيرة، وأخذ يساندها مساندة دعائية وعملية..

لقد تنبأ لينين منذ وقت مبكر، وقبل أن تنضج حركات التحرر الوطنى، بتفجر الصراع الحاد بين الاستعمار وشعوب المستعمرات وأشباهها.. وقال: سوف تندلع حركات التحرر الوطنى فى العالم أجمع..

وقال لينين بحتمية الحروب التحررية وبأنها حروب تقدمية وثورية كذلك .. وتنبأ لينين بأن الشعوب الكادحة فى المستعمرات سوف تلعب دورا حاسما فى المراحل المتقدمة من الثورة العالمية. وقال إن نضال حركات التحرر الوطنى ضد الامبريالية هو فى جوهره نضال ضد الراسمالية.

وتنبأ لينين بأن الثورة التحررية الوطنية لن تمر فى تطورها بنفس المراحل التاريخية التقليدية بل قد تنتقل رأسا إلى الاشتراكية دون المرور بمرحلة الرأسمالية.

وطالب الاشتراكيين فى العالم بالتحالف الثورى الوثيق بين نضال الطبقات العاملة ضد دولها الرأسمالية، وبين حركات التحرر الوطنى ضد الاستعمار.

واعتبر هذا التحالف عاملا حاسما فى نضج الثورة العالمية.

وفى هذه المرحلة.. بدأت الحرب العالمية الأولى وانعقد مؤتمر عالمى للمنظمات الاشتراكية الديمقراطية لتحديد موقف من هذه الحروب. وفى هذا المؤتمر تم فضح الجناح اليمينى من الاشتراكيين الديمقراطيين الذين طالبوا بتأييد الحرب والمشاركة فيها دفاعا عن الأرض والأم.

وفى هذه المرحلة كتب لينين مؤلفه العظيم الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية.

وفى فبراير ١٩١٧ اندلعت الثورة فى روسيا وأطاحت بسلطة القيصر ولكن البورجوازية تمكنت من السيطرة على السلطة.. ووقف إلى جانبها المنشفيك.

وقال لينين.. فلنواصل طريق الثورة، ولننتقل بحسم إلى مرحلتها الثانية، مرحلة الثورة الاشتراكية، ورفض تأييد سلطة البورجوازية الجديدة، وأخذ يقود العمل الثورى من أجل الإطاحة بها وإقامة سلطة البروليتاريا.

وقال لينين، بإمكان تحقيق ذلك سلميا، عن طريق توعية سوفيتات العمال والجنود والفلاحين التى تكونت ونمت فى غمرة هذه المرحلة الثورية وكسب أغلبيتها للفكر الثورى الصحيح لتكون أساسا للسلطة الثورية الجديدة.

وهنا ألح سؤال نظرى جديد.. ما طبيعة السلطة الثورية الجديدة؟

ووجد هذا السؤال إجابته فى كتاب من أهم كتب لينين أعده فى هذه المرحلة هو كتاب «الدولة والثورة».

إن السلطة الجديدة هى سلطة دكتاتورية البروليتاريا.. إن كل سلطة، كل دولة هى دكتاتورية.. ولكن المهم أن نحدد طبيعة هذه الدكتاتورية.. لمن؟ إن قيام الدولة أى دولة إنما هو نتيجة لاستحالة التوفيق بين المتناقضات القائمة بين الطبقات فى المجتمع .. هذا هو سر منشؤها بل أن وجود الدولة دليل على أن المتناقضات بين الطبقات لا يمكن التوفيق بينها!

ودكتاتورية البروليتاريا ليست إلا الشكل الجديد للسلطة، يتوافر فيه حكم الأغلبية المقهورة، من العمال والفلاحين. إن العنف ضد حفنة من المستغلين - كما يقول لينين - ليس هو جوهر دكتاتورية البروليتاريا، وإنما جوهرها هو إن تحقق البروليتاريا شكلا للتنظيم الاجتماعى للعمل أرقى من الشكل الرأسمالى! هذا هو جوهر دكتاتورية البروليتاريا.

ولهذا فإن دكتاتورية البروليتاريا مادامت تمثل سلطة الأغلبية الساحقة للسكان، فهى

تمثل شكلا من الديمقراطية أرقى من أى ديمقراطية فى أى دولة بورجوازية، ودكتاتورية البروليتاريا فى الحقيقة ليست دولة بل هى شبه دولة، لأنها ليست فى جوهرها أداة للقهر الطبقى، بل هى أداة للبناء الاجتماعى وتنظيم العمل.

على أن تحقيق هذه الدولة الجديدة لا يمكن ان يتحقق إلا بتحطيم جهاز الدولة البورجوازية القديم، وبالتحالف بين العمال والفلاحين بقيادة البروليتاريا.

إن قيام هذه الدولة الجديدة شرط الانتقال إلى الاشتراكية، ولكنها ستتخذ كما يقول لينين أشكالا سياسية متنوعة بحسب التجارب الاجتماعية والقومية المتنوعة وإن احتفظت بقسماتها الجوهرية.

وبدأ التحضير للمرحلة الثورية الجديدة، وقال لينين.. لابد من انضاج الظروف الذاتية، الملائمة للظروف الموضوعية، وكان هذا يعنى توعية جماهير العمال وحسن تنظيمهم وكسب أغلبية سوفيتات العمال والجنود والفلاحين، ودعم التحالف بين العمال وفقراء الفلاحين.

وراح يخوض نضالا فكريا وعمليا ضد محاولات يمينية ويسارية شتى تهدف إلى إجهاض الثورة، تعجيلا بها قبل أوانها، أو حرفا بها عن مضمونها الثورى.

وراح لينين فى الوقت نفسه يعبئ الجماهير وينظم حركتها الثورية بقيادة الحزب، ثم حدد بالدقة اليوم المحدد لقيام الثورة وقامت الثورة فى ٢٥ أكتوبر بقيادة مباشرة منه.

ومنذ اليوم الأول لانتصار الثورة الذى تحقق سلميا فى البداية أخذ لينين يضع فى التطبيق خط الحزب.

- صدر مرسوم السلام.
- صدر مرسوم بمصادرة الأرض وتأميمها.
- أعلنت المساواة التامة فى الحقوق بين جميع شعوب روسيا، فضلا عن حقها فى تقرير مصيرها بما فيه حق الانفصال. وتسلمت الطبقة العاملة إدارة المصانع.

وواجهت الثورة أولى محنتها بموقف المانيا، التى لم توافق على السلام إلا بشرط الحصول على بعض الأراضى الروسية، وقرر لينين بشجاعة وموضوعية نادرة، الموافقة على ذلك، فى مواجهة حرب ضارية أخذ يتعرض لها من بعض اليساريين المتطرفين المتشدقين بالكلمات الثورية الرنانة دون إدراك للظروف الموضوعية المحددة.

وأخيرا.. انتصر رأى لينين وانعقد صلح بريست ليتوفسك..

وما أن بدأ لينين يواجه الأعباء الداخلية، التمزق من جراء الحرب، الحاجة إلى إعادة

البناء، حتى بدأت حروب التدخل، ما يقرب من ١٤ دولة رأسمالية، تحشد ما يقرب من مليون جندى على جبهات روسيا المختلفة تساندها الرجعية الداخلية، للتطويح بالثورة الجديدة.

ويرتفع شعار لينين كل القوة للجبهة.

وتمر سنوات مريرة على الثورة.. ولكن الثورة تصمد وتنتصر فى النهاية وتواصل بقيادة لينين مرحلة البناء الداخلى، ولكنه كذلك لا ينسى أبدا نضاله الفكرى فيصدر كتابه الرابع مرض «اليسارية» الطفولى للشيوعية.. ضد أفكار الانتهازية المغامرة.

ثم يواجه أعباء البناء.. لم يكن ثمة معرفة سابقة بما ينبغى عمله..

لقد انتهت رحلة تحقيق الأهداف العامة، وبدأت مرحلة مواجهة المشكلات العملية المحددة.

الانتقال من مجتمع الإقطاع والرأسمالية إلى المجتمع الاشتراكى.

- إعادة البناء الاقتصادى والإدارى على أساس ديمقراطى جدى..

- إنجاز ثورة ثقافية يتحقق بها إطلاق القوى الخلاقة لجماهير الشعب الذى كان ثلاثة أرباعه من الأميين.

- دعم العلاقة الديمقراطية بين القوميات السوفيتية التى حصلت على استقلالها الذاتى فى إطار الدولة السوفيتية.

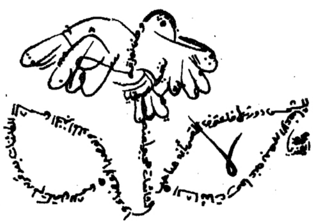
- إقامة الأساس المادي للتحول الاشتراكى، متمثلا أساسا فى الصناعة الثقيلة وفى الاهتمام بالعلم والتكنولوجيا.

- حل المشاكل العملية للقضية الزراعية، وابتكار أشكال جديدة للعمل والإنتاج الزراعى بما يدعم التحالف بين العمال والفلاحين على أساس مادى وعملى.

- وضع أسس مبدئية لسياسة عالمية جديدة مع العالم الرأسمالى المحيط بأول دولة اشتراكية، يقوم على أساس التعايش السمى الذى لا يطمس الصراع الطبقى العالمى، بل يوجهه وينميه على أسس اقصادية وفكرية جديدة.

- دعم الحزب وتنمية قدراته فى ضوء الظروف الجديدة كقوة أساسية حاسمة للتثقيف والتحريك والتنظيم والتحول الاجتماعى.

- وضع أسس جديدة لوحدة الأممية البروليتارية بعد خيانة الاشتراكيين الديمقراطيين .. أممية بروليتارية جديدة تحترم الوطنية والاعتزاز الوطنى وتحرص فى الوقت نفسه على التضامن الثورى مع كل حركات التحرر والتقدم فى العالم.



وراح لينين يخطط لهذا كله فى هياكله العامة، وتفاصيله الجزئية بدأب وتفان وتواضع ومبدئية ومرونة. وشجاعة . وتفاؤل موضوعى.

وما أشد خصوبة هذه المرحلة من حياة لينين، ومن حياة الدولة الاشتراكية الجديدة وما أعظم الدروس الغنية المستخلصة منها.

ومات لينين وهو فى غمرة هذا العمل الدءوب الذى تفانى فيه رغم مرضه.

مات.. ولكن بقيت لنا حياته كلها.. متمثلة ، متجسدة، حية فى هذه المنجزات الفكرية والعملية التى تشكل اليوم معالم عصرنا الراهن كله.. بل وتحدد مستقبله كذلك.

وبعد..

إننا لا نحتفل اليوم بذكرى رجل عظيم فحسب، بل نحتفل كذلك بفكر متجدد منتصر يحيا بيننا ، يحيا به عصرنا ، ويزداد كل يوم به تجدداً وانتصارا وحياة(٢).

هوامش:

(١) مجلة الاشتراكى: ١٨ إبريل عام ١٩٧٠، بمناسبة العيد المئوى لمولده.

٢) لا يقلل من مصداقية هذا الذي كتبته منذ ما يقرب من ربع قرن ، ما تحقق هذه الأيام من فشل للنموذج السوفيتى للاشتراكية وتفكك للمنظومة الاشتراكية فلهذا الفشل والتفكك أسباب ذاتية وموضوعية فكرية وعملية سبق أن عرضت لتفسيرها فى موضع آخر، على أن هذا لا يقلل ولا يطمس الدلالة والقيمة الكبيرة العلمية والثورية للماركسية فى عصرنا.

قضية

لماذا يكتب بعض نشطاء الحركة الوطنية المصرية باللهجة العامية؟

د. محمد عبد الشفيع عيسى

لاحظنا فى الفترة الأخيرة بدء استخدام اللهجة العامية المصرية - استخداماً جزئياً- من جانب بعض الأطراف الممثلة لنشطاء الحركة الوطنية الجديدة فى مصرنا الحبيبة، وخاصة من الشباب. يظهر ذلك فى بعض الفقرات من المقالات والأعمدة الصحفية فى بعض صحف (المعارضة) أو الصحف المستقلة والشعبية، كما يظهر فى المدونات على الشبكة العالمية ،الإنترنت، والتى يتحمل مسئوليتها شباب غير معروفين من قبل، وكذا فى منشورات بعض المواقع الإلكترونية الناشئة والمعبرة عن حركة الاعتراض والاحتجاج متعدد الأوجه ضد الممارسات السياسية الرسمية الراهنة فى مصر.فما الأسباب التى أدت إلى البروز الجزئى لظاهرة الكتابة بالعامية أو اللهجة الدارجة المصرية على هذا النحو مؤخراً؟، وما الرأى فى هذه الظاهرة؟.نجتهد هنا فنبدأ بعرض عدد من الأسباب المحتملة لها. أولاً: بمقتضى علم الرموز والإشارات (اللغوية وغير اللغوية) Semiology فإن ظهور أية طريقة جديدة للتواصل الإشارى وبناء منظومات التواصل بالمعنى الواسع، تعبير عن حاجات اجتماعية جديدة. وابنية الخطاب اللغوى بالتحديد، بما فى ذلك ،شعرية، السرد مثلاً، ليست، فى حقيقة الأمر،

مجرد بناءات لغوية تخضع للمنطق «الشكلانى» للتعبير الجمالى، ولكنها أبنية ثقافية - اجتماعية مكونة من طبقتين:× طبقة ظاهرة أو «سطحية» يمكن تحليلها بآليات «البيان»، بما فيه «البديع» العربى كما بلوره ابن رشيق فى كتاب (العمدة)، وذلك فى إطار التصنيف التقليدى للعلوم اللغوية العربية.× طبقة عميقة يجرى تحليلها بآليات البلاغة، وينطلق التحليل البلاغى العربى من (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) لعبد القاهر الجرجانى ولكنه يمتد ويتعمق فى المساهمات العلمية الحديثة للعلوم اللسانية والإشارية. وبهذا المعنى يتم التحليل البلاغى فى إطار المركب النفسى- الاجتماعى- الثقافى الخاص بتحليل الخطابات وتداولها وتأويلها وأنماط الاستجابة لها.وفق ما سبق تمثل الكتابة بالعامية، فى بعض أجزاء النص، طريقة خاصة للتعبير الإشارى واللغوى- البلاغى، انطلاقاً من الحاجة إلى بناء نظام تواصلى «بين أعضاء جماعة معينة - هى هنا أعضاء جماعة الشباب النشط سياسياً- وبين أعضاء هذه الجماعة وجمهورهم» العريض والذى هو مثلهم جمهور تواق إلى التجديد فى إطار الحميمية المتبادلة.ثانياً: التفسير الثانى للظاهرة الناشئة أن الكتابة بالعامية - ولو على نحو جزئى كما ذكرنا- تجد الرغبة فى التجديد على قاعدة «المغايرة» أى التمايز عن الجماعة الكبيرة.ويلعب هنا «أثر التقليد» مفعولاً مهماً، من خلال اللعب على وتر (العدوى الفكرية) التى يقودها فريق قليل ثم لا يلبث تأثيره الابتدائى أن ينتشر انتشار النار فى الهشيم.ثالثاً: إن الاستخدام الجزئى للهجة العامية يمكن النظر إليه باعتباره ضرباً من ضروب التمرد على (النظام) الشامل للحياة العامة وفق القواعد التى يحددها (الوضع القائم) والنظام السياسى ونظام الحكم تحديداً. ويشكل التمرد على (نظام الكتابة) جزءاً من التمرد على كل نظام وفق المفهوم السابق.ولعلنا نستبق التحليل الاستنتاجى فنذكر أن التمرد رد فعل مشروع، ولكنه قد يقوم على مجرد استبدال ظاهرة معينة بمقلوبها أو نقيضها، وهو إن لم يتحول إلى فعل ثورى يظل فى حيز الجانب «السالب» من عملية التغيير الاجتماعى، ويظل الجانب «الموجب» ضرورياً ممكناً فى الوقت نفسه. وبتطبيق ذلك على فعل الكتابة، يكون من الضرورى والممكن تأسيس لغة الكتابة فى إطار تجديد المنظومة اللغوية العربية من داخلها وليس من خارجها. وشىء قريب من ذلك يتخلق الآن فعلاً من خلال التمازج بين الفصحى والعاميات العربية المختلفة بما فيها العامية القاهرية، كما لاحظ بعض الكتاب.رابعاً:

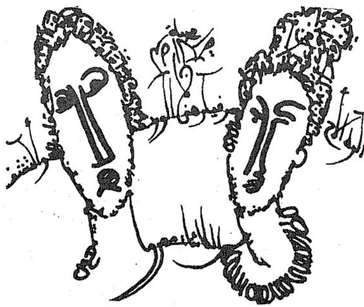
إن الكتابة، جزئياً بالعامية قد ينظر إليها، فى رأى أصحابها، باعتبارها سبيلاً لتأكيد النزعة (الواقعية) فى الكتابة السياسية والصحفية. وبهذا المعنى فإنها قد تمثل طريقاً أكثر استقامة ومباشرة للوصول إلى «الجمهور المستهدف» وللتوصل إلى أعماق «الحقيقة المغيبة».سوف نستبق التحليل الاستنتاجى لنبادر هنا أيضاً بالقول إن الواقعية فى الكتابة، كما تدلنا مذاهب النقد الأدبى، قد تجاوزت مذهب (المحاكاة) الكلاسيكى، محاكاة الواقع، وتجاوزت واقعية القرن التاسع عشر بطابعها المباشر والذى وصل إلى حدود ما سمى بالنزعة (الطبيعية) - بمعنى نقل الواقع كما هو إلى عالم الكتابة، ويقدمون لها مثلاً روايات بلزاك. ومن خلال تراث (الواقعية الاشتراكية) - بالتضاد مع النزعات المفارقة للواقع مفارقة تامة أو شبه تامة كالسريالية- أصبحت الواقعية (واقعية نقدية): تلامس الواقع لتغيره، لا لتلتصق به. فى ضوء ذلك يكون فعل الكتابة المرتجى ترجمة لإبداع متجاوز للواقع القائم، ومحلقاً إلى آفاق التغيير البعيدة.خامساً: إن الكتابة بالعامية تفتح مجالاً أوسع للتواصل بين جماعة «الكاتبين» وجماعة «القارئين» من جيل جديد فى مصر يتسم بضعف التكوين اللغوى العربى، كأثر من آثار هشاشة النظام التعليمى، وضآلة بعض مخرجاته النهائية، خاصة فى مجال اللغة العربية، ويشمل ضعف التكوين اللغوى العربى كلاً من المحصول المعجمى، وقواعد اللغة نحواً وصرفاً، والقدرة التعبيرية و«الإنشائية» ممثلة فى تكوين الجمل والعبارات والقطع اللغوية الدالة. ولا تخفى أهمية النحو فى اللغة بالذات، على نحو ما بين المفكر اللغوى نعوم تشومسكى مثلاً من خلال ما سماه بالوظيفة التوليدية والتحويلية للنحو، مع وعى ما وجه إليه من نقد.وفى المقابل، يوفر استخدام اللهجة العامية آلة مطواعة تكفل حرية التعبير عن الذات بمرونة بل وبسهولة أكبر وبما لا يقبل المقارنة مع الاستخدام الصحيح للغة الفصحى.ويبدو الجيل الجديد فى مصر العربية - من هذه الناحية- مختلفاً، مثلاً، عن الجيل الجديد فى المشرق العربى (بالمعنى الضيق والذى يشمل سوريا ولبنان وفلسطين والأردن) خاصة فى سوريا، حيث يصير التكلم بالعربية الفصحى طريقة معتادة للتعبير عن أدق الأفكار من أيسر السبل، وبأقصى ما هو متاح نسبياً لدى ذلك الجيل من سلة البيان العربى. وفى كل من تونس والمغرب قدرة مشابهة على التعبير بالفصحى على مستوى النخبة، فى حدود معينة، ربما لصعوبة نسبية فى التواصل مع سائر البلدان العربية باستخدام بعض

اللهجات المحلية المغاربية، خاصة لعدم شيوعها النسبى على المستوى العربى العام حتى الآن. وإن نظرة مقارنة خاطفة إلى الأداء اللغوى لشباب المذيعين ومقدمى البرامج على (القنوات الفضائية المرئية) وبعض الإذاعات المسموعة، لتؤكد هذا الاستنتاج الأولى على كل حال.سادساً: إن شباب نشطاء الحركة الوطنية المصرية يمارسون (السياسة بالكتابة)، مثلما يمارسون السياسة بوسائل أخرى متعددة، ومن هذه الزاوية، وبالاستعارة من قاموس جاك دريدا حول ،التفكيكية، ومن تراث بعض البنيويين المعاصرين، فإن الكاتب (يموت) فور الانتهاء من كتابته، ليعيش ،القارئ، من خلال تأويله الخاص للكتابة وفى إطار بناء عالميه الثقافى- الاجتماعى المتفرد.وبالتطبيق على موضوعنا هنا، فإن النشطاء السياسيين الجدد ينشرون - بقصد أو بدون قصد- قاعدة واسعة من القراء ذوى التأويلات المختلفة، ولكن المتفقة على منهاج المغايرة والمعارضة السياسية. وإذ تنحل الكتابة فى التأويل، تتسع قاعدة القراءات التأويلية، فى ،مثاقفة، من نوع خاص تنصرف إلى بناء نسيج ثقافى مشترك، بل وفى ،تناص، موسع على حد تعبير النقاد المحدثين، بمعنى تبادل الإحالة إلى النصوص فيما بين الكتابات المختلفة. وفى التحليل النهائى تفتح أوسع الأبواب أمام العمل السياسى الجديد للحركة الوطنية المصرية فى الإطار العام للحركات السياسية المناظرة على امتداد الوطن العربى الكبير.سابعاً: إن الكتابة بالعامية المصرية - اللهجة القاهرية بتعبير أدق- قد تختلف، من وجهة نظر أنصارها، عن الكتابة بأية عامية عربية أخرى، وربما تعكس وجهة النظر هذه نوعاً من الثقة الذاتية على المستوى الجمعى بالغنى الخاص لتلك اللهجة المدينية المتفردة - حتى بالمقارنة مع اللهجات الأخرى فى مصر نفسها. وقد تنبع هذه الثقة من الثروة السخية والمخزون المتجدد للهجة أبناء القاهرة من التركيب اللفظى ومرونة وليونة البناء الصوتى والصرفى، ومن التوازن (الهارمونى) على مستوى الملفوظ والمكتوب، كتقطير للغة العربية المحكية بلهجاتها المختلفة، فضلاً عن المدى الواسع لذيوعها بين الأرجاء العربية جميعاً، لذلك قد تعتبر الكتابة بالعامية القاهرية فى مصر استثناء لا يصح القياس عليه بالنسبة للعاميات العربية الأخرى.ختاماً نجد أنفسنا أمام السؤال عن الرأى فى هذه الظاهرة الجديدة للكتابة بالعامية المصرية، وإننا لنأمل فى عودة موسعة للموضوع، بيد أن من المهم أن نلاحظ أن نبل المقاصد للنشطاء السياسيين الجدد يقضى - من ضمن ما يقضى- بأهمية



وضرورة العمل على تجديد الكتابة السياسية والدعوية، ليس عن طريق «التساهل» اللغوى ولا بالتخلى عن العربية الفصيحة، إذ ليست العربية «الفصحى» هى فقط الأداة الأكثر ملاءمة للتعبير عن المقولات الأكثر تعقيداً، ولا هى فقط لغة حية، قديمة - جديدة، وقادرة على التطور كما أثبتت طوال تاريخها، وإنما هى من قبل ومن بعد، لسان الهوية الناطق، وهى واسطة التجلى الوطنى - القومى، وإذن فلنعمل، من جيل جديد وجيل - أو أجيال- اقدم، على تجديد هذه العربية نفسها، مع الكتابة بها: سهلة وممتنعة فى الوقت نفسه، وبذلك تقترن السياسة واللغة اقتراناً منتجاً ومثمراً، مع التتابع المنتظم لأجيالنا الصاعدة.

المحافظون الجدد:
منظرون لخراب العالم



على عبد العال

إنها قصة طائفة ثقافية تقيم فى واشنطن، لا يتجاوز عددهما المائة أو المائتين، ومجموعة من المخططين الذين يريدون أن يبنوا إمبراطوريتهم الأمريكية على الدم والقتل والتنكيل وإرهاب الدولة.. وإنها أيضاً قصة عقائد الغابات، والأفكار التى استعارها بعض المنتسبين إلى الإنسانية من الحيوانات، حينما يصبح القتل والنهب والتدمير مذهب الإنسان وديدنه، لا يكاد ينتهى من فريسة حتى يفكر فى التى تليها والدم بين أنيابه.

من هم المحافظون الجدد.. ؟

"المحافظون الجدد".. مجموعة سياسية أمريكية، تميل إلى اليمين المسيحى المتطرف، آمنت بقوة أمريكا وهيمنتها على العالم. وهم ليسوا ساسة فقط بل كتاباً نافذين، ومفكرين استراتيجيين، ومحاربين قدامى، وجمهرة من المثقفين أكثر تطرفاً من كل ألوان الطيف الفكرى والثقافى الأمريكى الحالى.

وهم أيضاً جماعة ذات ميول صهيونية مغلفة بعداء شديد للعرب والمسلمين، حددت مسار السياسة الخارجية الأمريكية فى عهد جورج دبليو بوش، وعملوا على بلورة سياسة تجيز استعمال قوة أمريكا العسكرية للوصول إلى أهدافها، من دون النظر إلى أية اعتراضات.. إذ يعتقد المحافظون الجدد أنهم يملكون الحقيقة وحدهم، وأن قوة الأسلحة التى يملكون تفرض نفوذها على الجميع.

ويصنف تيار المحافظين الجدد بأنه لصيق الصلة بإسرائيل، وحليف متعصب لها، إذ أن أكثر قادة ومنظرى (الجدد) من المثقفين اليهود. ويعرف بعض المتخصصين هذا التيار بأنه نتيجة صراع نشب بين اليهود الليبرّاليين واليهود المحافظين حول السيطرة على وجهة يهود أمريكا الأيديولوجية.

والمحافظون الجدد ليسوا جدداً إلاّ فى إعادة ممارسة دورهم وتوجهاتهم، لأن الفكر المحافظ هو لب القيم الأمريكية منذ تأسست الولايات المتحدة، وقد عادت هذه الخلايا النائمة إلى الظهور المتطرف من جديد بفضل النهج السياسى الذى اعتمده جورج بوش الابن.

وكان منشأ هذه الحركة مع خروج مجموعة كبيرة من المفكرين اليهود واليمينيين من الحزب "الديمقراطى" إبان ولاية جيمى كارتر، الذى تبنى أجندة اليسار الجديد، وعارض التصعيد ضد السوفيت، ورفض مطالب المحافظين بتوظيف بعضهم فى إدارته. ومن ثم تحولوا - متبنين سياسة متشددة تدعو إلى تعزيز القوة العسكرية ومواجهة السوفيت - إلى الحزب "الجمهورى" وزادت هيمنتهم على السياسة الخارجية الأمريكية فى عهد رونالد ريجان، الذى آمن بفكرة التصعيد، ورفض نقد اليسار اللاذع للثقافة الأمريكية.

وقد عُرف المحافظون مع ريجان - كمجموعة منشقة عن الحزب الديمقراطى - باسم "ديمقراطيو ريجان" Reagan's Democrats ، حيث تفرقوا فى المراكز الأكاديمية والبحثية والإعلامية من دون أن ينتظموا فى حزب أو يشكلوا جسماً سياسياً يمكن أن يشار إلى أدبه السياسى المكتوب أو إلى عقيدته الفكرية. وكانت هذه هى المرحلة التى تبلور خلالها تيار "المحافظين الجدد"، إذ ساعدت الحركات - أو بمعنى أدق - التقلبات الفكرية والسياسية التى مر بها المجتمع الأمريكى، على تشكيل بيئة خصبة لنمو أفكارهم وتبلور تيارهم الفكرى والسياسى.

منطلقاتهم الفكرية

يؤمن المحافظون الجدد بدور "القوة العسكرية" كأداة أساسية لمواجهة التحديات والنزاع فى العالم. والعلاقات الدولية بالنسبة لهم تقوم على القوة، كما أن السلام الحقيقى إنما يأتى فقط نتيجة للانتصار فى الحرب، وليس بالدبلوماسية أو العدالة.

وخلال السنوات الأخيرة ساند المحافظون الجدد عدداً من الأفكار التى اكتسبت رواجاً واسعاً فى واشنطن، وعلى رأس هذه الأفكار "الإيمان بأن أمام أمريكا فرصة غير مسبوقة لإعادة صياغة النظام العالمى" نابعة من حالة الفراغ التى يعشها العالم بعد سقوط الإتحاد السوفيتى، وهو فراغ يجب أن تملأه أمريكا من خلال الدور "الرسولى" الحتمى الذى يجب أن تضطلع به.

إذ يرى هؤلاء أن العالم يبحث عن قائد، وأن أمريكا هى حتماً هذا القائد، فسيطرة

أمريكا وسيادتها المطلقة على العالم هى مصدر الاستقرار. لذا فهم يرون أن من الطبيعى أن يتوحد الغرب وغيره من دول العالم تحت القيادة الأمريكية لإعادة تشكيل النظام العالمى الجديد.

ويكن المحافظون الجدد قدراً كبيراً من الرفض لدور المنظمات الدولية، والقانون، وجهود الحد من التسلح، وبشكل خاص يناصبون "الأمم المتحدة" العداء، حيث يرون أن القوة العسكرية يجب أن تبقى أساساً رئيسا للسياسية الخارجية.

وقد آمن الجدد بأنهم قادرون على التدخل العسكرى لإعادة تشكيل الدول كالعراق وأفغانستان ولبنان وإيران، وجعلها نموذجاً لقدرة أمريكا على التدخل ومساعدة الأصدقاء والتغيير، ولهذا جرى الترويج لمبدأ السيادة الوطنية المحدودة، أو حتى إلغائها عندما تتعارض مع المصالح الإستراتيجية الأمريكية. وفتح الأمريكيون الباب لحملات عسكرية تأديبية على دول مستقلة وأعضاء فى الأمم المتحدة، كما وصل بهم الحال إلى تهميش دول كبرى ذات دور أساسى وفاعل فى العالم كالصين، وروسيا.

ومن بين ما يؤمن به المحافظون الجدد أن من واجبهم التعجيل بعودة "المسيح" إلى الأرض، لتحقيق نبوءة الكتاب المقدس "بشن الحرب على المسلمين والاستيلاء على كل الأراضى المقدسة". وهم ينظرون بعين التطرف إلى الآخر ويرونه - أياً كان - عدواً يجب استئصاله.

وحول المكونات الأساسية لفكرهم، يقول (ستيفن هلبر) و(جوناثان كلارك) - مؤلفا كتاب "المحافظون الجدد والنظام العالمى" - إنها تشمل الإيمان العقدى والصراع بين "الخير" و"الشر". إذ دعا مفكرهم ليو شتراوس - الذى هاجر من ألمانيا هرباً من النازية واستقر فى أمريكا - إلى بناء أمريكا كقوة كبرى تحارب الشر فى العالم.

وفى مجال الاقتصاد، تبنى المحافظون الجدد "الليبرالية الجديدة" التى تستند إلى فرض (الأمركة) على نظام العولمة، وما تتضمنه من تدويل واسع على صعيد الإنتاج

والتبادل، وتداول الخدمات والمال والاتصالات والمعرفة ومنظومة القيم والأفكار. كما تبنوا سياسة اجتماعية منحازة لصالح الأثرياء والشركات الراسمالية الكبرى، على حساب مصالح الفقراء وشرائح واسعة من المجتمع.. وكانوا قد رفضوا الثورة الثقافية التى اجتاحت أمريكا فى الستينيات، والتى نادت بالتعددية الثقافية وحقوق الأقليات والنساء، إذ رأى الجدد أن ذلك من شأنه أن يضعف أمريكا.

وكان الرئيس الأمريكى، جمى كارتر، قد نبه فى كتابه: "القيم الأمريكية المعرضة للخطر" إلى ان المحافظين الجدد - الذين روجوا لفكرة أنه إما أن تكون معنا أو ان تصبح ضدنا - أصبحوا بفلسفتهم الإمبريالية يشكلون اكبر خطر على سمعة الولايات المتحدة فى العالم.

الفوضى الخلاقة

تمثل "الفوضى الخلاقة" نظرية المحافظين الجدد فى التعامل مع العالم من حولهم. إذ تعنى الفكرة باختصار : إغراق الجماهير بالفوضى كىّ تتمكن الصفوة من ضمان استقرار وضعها.

وطبقاً لما يذكره المتخصصون بفكر ليو شتراوس - أحد أساطين المحافظين الجُدد وفيلسوفهم - فإن السلطة الحقيقية لا يمكن ممارستها إذا ما بقى المرء فى حالة ثبات، أو حافظ على الوضع الراهن، بل على العكس، ينبغى العمل على تدمير كل أشكال المقاومة.

وهى أيضاً فكرة تحويل مناطق واسعة من العالم إلى مناطق غير مأهولة، فبالنسبة لمنظّرى "الفوضى البنّاءة" يجب سفك الدماء من أجل الوصول إلى نظام جديد فى المناطق الغنية بالثروات. وهى فكرة تم تكريسها باعتبارها سياسة أمن قومى أمريكية من قبل مستشار الأمن القومى السابق هنرى كيسنجر فى عهد الرئيس ريتشارد نيكسون. وقدم كيسنجر دراسة تم اعتمادها عام ١٩٧٤ من قبل الإدارة الأمريكية بعنوان "مذكرة الأمن القومى ٢٠٠" (NSM 200)، ومن اهم افتراضاتها وتوصياتها هى أن النمو السكانى خاصة فى دول العالم الثالث يعتبر تهديداً للأمن القومى الأمريكى

وحلفاء واشنطن الغربيين، لأن تزايد أعداد السكان فى تلك البلاد سيؤدى إلى استهلاك الثروات المعدنية هناك من قبل تلك الشعوب : إما عن طريق التطور التكنولوجى أو بسبب الحاجة إلى إعالة الأعداد المتزايدة من السكان.

وتفترض تلك الدراسة أن هذا الأمر يعتبر تهديدا للأمن القومى الأمريكى وحليفاتها، من الدول الصناعية التى تعتمد فى بقائها وتطورها مستقبلاً على تلك الموارد المعدنية فى تلك البلدان من العالم الثالث. وذكرت تلك المذكرة مجموعة من البلدان الأفريقية والآسيوية من بينها مصر التى أوصت بتحديد النسل فيها.

ومن بين ما تقوم عليه الفكرة : استبدال الدول القائمة بدويلات أصغر تتسم بأحادية الطابع العرقى، وتحييد هذه الدويلات بجعل كل واحدة منها ضد الأخرى على نحو مستمر. وبعبارة أخرى، فالفكرة تتضمن تدمير الدول القائمة من أجل إنشاء كيانات ضعيفة يسهل توجيهها والتلاعب بثرواتها ومقدراتها.

ولإعطاء صورة واضحة عن نوايا ومخططات المحافظين الجدد نشرت مجلة "إكزكتف إنتلجنس ريفيو" تقريراً حول اجتماع عقد فى واشنطن لمناقشة "الحرب العالمية الرابعة" حضره وتحدث فيه أبرز منظرى المحافظين الجدد وأكثرهم نفوذاً داخل الإدارة الأمريكية وفى مراكز صنع السياسة فى واشنطن.

إذ شارك ثلاثة من كبار مسئولى إدارة بوش - تشينى، وهم نائب وزير الدفاع الأسبق بول وولفويتز واثنان من دعاة الحرب من المحافظين الجدد فى مجلس سياسات الدفاع (Defense Policy Board) جيمس وولزى واليوت كوهين، شاركوا جميعاً فى الاجتماع الذى عقد برعاية إحدى أكثر الجماعات الصليبية المحافظة الجديدة تطرفاً، وهى "لجنة الخطر الداهم" (Committee on Present Danger) وهذه هى نفس المنظمة التى كانت ناشطة أثناء الحرب الباردة والتى طالبت بقصف كوريا الشمالية بالقنابل الذرية فى عام ١٩٤٩، ومؤسسة الدفاع عن الديمقراطيات (Foundation for the Defense of Democracies). وكلا المنظمتان أعلنتا من قبل أن "الإسلام" هو العدو العالمى الجديد الذى يجب أن تتم هزيمته من خلال ما يسمونه الحرب العالمية الرابعة



التى بدأت وتجرى الآن حسب وجهة نظرهم.

والمسألة التى تم عرضها خلال هذا الاجتماع هى أنه إلى أن يتم القضاء على جميع "الدول الراعية للإرهاب" إما عن طريق الحروب أو الانقلابات أو الأشكال الأخرى من تغيير الأنظمة، فإن الولايات المتحدة ستكون فى حرب أبدية، وأهم عامل فى هذه المرحلة "الإرادة لخوض القتال". وفى خطابات عديدة سابقة وصف كل من (جيمس وولزى) الذى شغل منصب مدير وكالة الاستخبارات المركزية لفترة قصيرة و(اليوت كوهين) وصفا هذه الحرب بوصف "حرب المائة عام".

وكان المتحدث الرئيس فى اجتماع "لجنة الخطر الداهم" هو نورمان بودهوريتز (Norman Podhoretz) - الشيوعى السابق الذى انقلب إلى محارب إمبريالى ومؤسس مجموعة المحافظين الجدد - وشغل صهر بودهوريتز وهو (إليوت ابرامز) منصب مستشار الأمن القومى لشئون الشرق الأوسط فى إدارة بوش. البروفيسور بودهوريتز وهو من الجيل الأول من الشتراوسيين، هو الذى سمى الاجتماع بهذا الاسم بناء على مقالة نشرها فى مجلة "كومينتارى" (Commentary) التى تعتبر من أهم مطبوعات المحافظين الجدد ويشغل بودهوريتز نفسه رئاسة تحريرها.

وتبرهن أجندة "لجنة الخطر الداهم" - حسب مراقبين - على ما أشار إليه (ليندون لاروش) المرشح الديمقراطى السابق للرئاسة الذى يرأس "لجنة لاروش" للعمل السياسى. ففى مذكرة إستراتيجية كتبها، يقول لاروش : إن هدف الآفة المسماة إدارة بوش تشينى هو إزالة كل ما يتعلق بوجود الدولة القومية ذات السيادة، وذلك باستخدام أداة "الحروب الأبدية". وكتب لاروش مخاطبا بشكل خاص أولئك الذين يعتقدون فى دول العالم وداخل الولايات المتحدة أن بمقدورهم العيش مع فترة رئاسية جديدة لبوش وتشينى، ما يلى: "إن هدفهم هو ليس إخضاع مناطق معينة سياسيا كمستعمرات، بل إزالة جميع المعوقات التى تقف فى طريق النهب الحر للكوكب (الأرض) ككل. إن نيتهم هى ليست فتح أراضى جديدة، بل تحقيق إزالة كل بقايا السيادة القومية وتقليص عدد سكان العالم من البشر إلى اقل من مليار نسمة... فهدفهم فى افغانستان والعراق على سبيل المثال هو ليس السيطرة على هذين البلدين، بل إزالة امم قومية عن طريق إطلاق

قوى الفوضى والدمار. هكذا سيكون من قبيل خداع النفس بشكل كبير اعتبار فشل العمليات العسكرية فى العراق كفشل لنية إدارة بوش. فنيتها هى التدمير الذاتى لآخر بقايا سيادة الدولة القومية، وهذا ما يحققون فيه نجاحات كبيرة فى الوقت الراهن".

وتحت عنوان: "كسر نظيف: استراتيجية جديدة لتأمين مملكة (إسرائيل)" تمت صياغة وثيقة فى العام ١٩٩٦، على يد مجموعة من مفكرى المحافظين الجدد، تضمنت مشروعاً استعمارياً واسعاً للشرق الأوسط ، وقد هيئت من قبل فريق من الخبراء جمعهم ريتشارد بيرل ثم أعطيت لبنيامين نتنياهو. وباختصار فإنها تمثل أفكار وأطروحات الصهيونى فلاديمير جابوتينسكى، إذ دعت الوثيقة إلى: إلغاء اتفاقيات اوسلو للسلام، والقضاء على الزعيم الفلسطينى ياسر عرفات، وضم الأراضى الفلسطينية، إلى جانب الإطاحة بصدام حسين لزعزعة استقرار سوريا ولبنان فى سلسلة من الأحداث. وتفكيك العراق وإقامة دولة فلسطينية على أراضيه. واستخدام إسرائيل كقاعدة تكميلية لبرنامج حرب النجوم الأمريكى.

تحالفات المحافظين الجدد

التقت أجندة المحافظين الجدد - منذ ظهورهم - مع اليمين الأمريكى والتيار المسيحى المتطرف. إذ تحالفوا مع "الجناح اليمينى" فى الحزب الجمهورى، وجماعات "الأصولية المسيحية" القريبة جداً من اللوبيات اليهودية، وهو تحالف اعتمد عليه المحافظون كثيراً فى الوصول إلى السلطة.

وكان الرئيس الأمريكى الأسبق، جيمى كارتر، قد أشار فى كتابه إلى أن ما يزيد الطين بلة هو توافق أجندة المحافظين الجدد مع أجندة متطرفة أخرى، هى أجندة الأصوليين فى اليمين المسيحى الأمريكى.

ونظراً لأن المحافظين الجدد هم فى الأساس تيار فكرى سياسى، لا يملك قواعد جماهيرية انتخابية حقيقية، فقد اعتمدوا على الجمهوريين، والجماعات اليمينية،

والناخبين الإنجليكيين، وأثرياء الجنوب الأمريكى، وقوى المحافظين التقليديين بولايات الجنوب والغرب الأمريكى.

ومن خلال تعاون اليمين الأمريكى مع الجدد فى بناء شبكة واسعة من الجماعات الفكرية النشطة، نمى تيار المحافظين الجدد داخل الجامعات والمؤسسات الفكرية والبحثية الأمريكية.

إذ لم يكن الجدد ليسيطروا على مقاليد صنع السياسة بأمريكا دون موافقة ضمنية من قوى اليمين، خاصة وأن تلك القوى كانت تملك أفكاراً بعضها أكثر تشدداً من بعض أفكار المحافظين أنفسهم. حيث ينطلق (المسيحيون المتدينون) فى رؤيتهم للسياسة الخارجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط والعالم، من منطلقات دينية خطيرة، تؤمن بأن العالم وأمريكا يسيران بسرعة إلى نقطة صدامية تمثل نهاية العالم، من خلال حرب تأتى على الأخضر واليابس، يكون مركزها الشرق الأوسط ، ويقودها العالم كله ضد أمريكا وحلفائها وعلى رأسهم إسرائيل.

أما (الإنجليكيون) فهم لا يثقون فى المنظمات الدولية، ولا يؤمنون بقضايا مثل الحد من التسلح أو تخفيض النفقات العسكرية الأمريكية، لأن أمريكا بالنسبة لهم تستعد لحرب طاحنة لا راد لها.

أما النخب الأمريكية (المحافظة التقليدية) فهى انعزالية بطبيعتها لا تثق فى المنظمات الدولية أو فى العالم الخارجى، ولا تؤمن إلا بالقوة الأمريكية وزيادتها المستمرة وبناء المزيد منها. وبشكل عام يمثل بقاء تلك المعتقدات والنزعات ضمانة لا يستهان بها لاستمرار سياسات وأفكار المحافظين الجدد.

وفى كتابهما "أمة اليمين: قوة المحافظين فى أمريكا" يركز الكاتبان (إدريان ولدريدج) و(جون مايكل ثويت) على أن تيار المحافظين الجدد هو "تيار ظهر فى أمريكا ليرضى نزعات أطياف مختلفة من اليمين تشكل نسيج الأمة الأمريكية من الناحية السياسية" ويضيفان أن اليمين الأمريكى ينقسم من حيث الأداء الوظيفى إلى مجموعتين :

أولا: "مراكز الأبحاث اليمينية" التى تركز على إصدار الدراسات التى تنطوى على أفكار وأطروحات لإدارة السياسة العامة فى الولايات المتحدة، والسعى لإقناع الإدارة



والكونجرس بتبنى هذه السياسات، حيث تتزعم هذه المجموعات مراكز بحثية مثل معهد "امريكان إنتربرايز" ومؤسسة "هيريتدج" ومعهد "كاتو" للأبحاث العامة.

ثانياً: "المجموعات اليمينية على المستوى الجماهيرى" ومهمتها حشد أصوات الناخبين اليمينيين وربطها بالقضايا والسياسات والترويج لساسة معبرين عن مصالح اليمين الأمريكى، ويمثل هذا التيار منظمات مثل التحالف الأمريكى المحافظ والتحالف المسيحى.

الإعلام وسيلة المحافظين

عزز المحافظون الجدد من معتقداتهم ووجودهم فى المجتمع الأمريكى من خلال: التغلغل بين اليمينيين البروتستانت، والاستفادة من محطات التلفزة مثل "فوكس نيوز"، والبرامج الحوارية التى كانت ولازالت تعد من معالم الحياة السياسية الأمريكية منذ ثلاثينيات القرن العشرين.

وطوال عقد التسعينيات شرعت هذه البرامج الإذاعية فى بناء قواعد أكبر من المستمعين، وبناء على هذا الاكتشاف الجديد بدأت شبكات التلفزة فى توفير مزيد من المنابر للمحافظين الجدد لطرح أفكارهم، لتصبح مع مرور الوقت بمثابة كفة التوازن فى مواجهة الصحف وشبكات التلفزيون فى المدن الكبرى ومحطات الإذاعة التى تميل إلى التوجهات الليبرالية.

كما اتخذ المحافظون الجدد عدداً من المنابر الصحفية المهمة وسيلة لنشر توجهاتهم، مثل مجلة "كومنتارى" وهى مجلة الجيل الأول من المحافظين، بدأت بالصدور عام ١٩٤٥ فى نيويورك عن اللجنة اليهودية الأمريكية، وكانت موجهة بالأساس إلى النخبة المثقفة.

وأيضاً مجلة "ويكلى ستاندارد" الأسبوعية لسان حال اليمين الصهيونى الأمريكى، مجلة الجيل الثانى من المحافظين، الممولة من قبل رويرت موردوخ إمبراطور الإعلام المعروف وصاحب الميول اليمينية المتطرفة، أسسها ويليام كريستول نجل إيرفينج كريستول، وقد تميزت مقالاتها ورسوماتها بنزعة أكثر جماهيرية، ومكتبها لا يبعد كثيراً عن البيت الأبيض بالعاصمة الأمريكية واشنطن.

كما تظهر كتابات للمحافظين الجدد باستمرار فى مجلة "فورين افاريز" المعروفة، ويكتبون بشكل دورى فى ثلاث من أكبر الدوريات الأمريكية، حيث يكتب (ماكس باوت) لصحيفة "لوس أنجلوس تايمز"، ويكتب (دايفيد بروكس) لـ"نيويورك تايمز"، ويكتب (روبرت كاجن) و(تشارلز كروتهمز) لـ"الواشنطن بوست"، هذا إضافة إلى سيطرتهم على مقالات الرأى بصحيفة "وال ستريت جورنال".

"الفلسطينيون لهم تاريخ كراود فى البلاء العظيم للإرهاب فى عصرنا الحاضر.. ومازالوا نجوماً فى سماء الإرهاب" كانت تلك عبارة (مارتن بيرتز) التى أوردها فى مقال له بمجلة "نيو ريبلك"

وهى إحدى خمس مجلات تعتبر قلاعاً للفكر اليهودى المتطرف فى أمريكا.. أما المجلات الأربع الأخرى فهى :- "مومنت" و"ناشيونال ريفيو" و"كومنترى" و"يكلى ستاندرد" وهذه المجلات رغم مظهرها المتواضع_ إلا أنها من أخطر المنابر التى تنشر الأفكار المحافظة المعادية للعرب والمسلمين.. طالما أنهم لم يصلوا إلى حالة الاستسلام التام__ وانعدام الوزن فى مواجهة إسرائيل_.

وخلال إدارة جورج دبليو بوش الحالية فى البيت الأبيض استطاع الجدد السيطرة على أكبر وأهم مؤسسات ومراكز البحث، وهيئات التحرير فى الصحف الهامة. وقد تبلورت وجهات نظرهم ومواقفهم قبل أن يصلوا إلى السلطة، من خلال مراكز الأبحاث اليمينية التى تضمنت أطروحاتهم حول السياسة العامة فى الولايات المتحدة، والسعى لإقناع الإدارة الأمريكية والكونجرس بهذه الفلسفة الجديدة، التى تتبنى التدخل الاقتحامى المنفرد فى الشئون الخارجية، والضربات الاستباقية.

وقد أضافت مراكز الدراسات زخما كبيراً لمواقف المحافظين، مثل معهد "هدسون"، ومعهد "أمريكان إنتربرايز" للأبحاث، ومعهد "المشروع الأمريكى" و"مشروع العقد الأمريكى الجديد" ومعهد "ميمرى" وهو الأداة الدعائية التى أسستها ميراف وورمسر مع عميل الاستخبارات الإسرائيلية السابق العقيد ييجال كارمون. وهو المعهد الذى وصفه المسئول السابق فى وكالة الاستخبارات الأمريكية (فينسينت كانيسترار) بالقول



إن "المعهد يعمل كأداة دعائية من وجهة نظر ليكودية متطرفة".

ويُعدّ معهد "المشروع الأمريكى" من أقرب معاهد البحوث السياسية للإدارة الأمريكية الحالية. فللمعهد علاقة وثيقة بنائب الرئيس الأمريكى ديك تشينى الذى تشرف زوجته على المعهد مباشرة. ويتوفّر المعهد على عشرات من الباحثين المتفرغين وغير المتفرغين من كبار أساتذة الجامعات الأمريكية؛ ويضم مجلسه الإدارى ومجلسه للتوجيه الأكاديمى خمسة وثلاثين عضواً من الشخصيات المؤثرة فى اقتصاد الولايات المتحدة وسياساتها مثل رئيس بنك "تشيس مانهاتن" والمدير العام لشركة "تكساس انسترومنتس" ورئيس شركة "كوكس" للبترول والغاز، وعدد من كبار أساتذة العلوم السياسية مثل صاموئيل هنتنجتون أستاذ علم الحكومة فى جامعة هارفرد وصاحب نظرية صدام الحضارات. ونظراً لأن هذا المعهد هو وكر لمفكرى المحافظين الجدد المقربين من إدارة بوش، فإنه يمكن القول إن بحوث هذا المعهد تمثّل توجهات الحكومة الأمريكية، أو أن سياساتها تتأثر بشكل كبير ببحوث هذا المعهد.

المحافظون فى معية بوش الابن

وفى معية جورج دبليو بوش تحقق حلم المحافظين الجدد فى العثور على الحاكم الذى يتبنى افكارهم، فرغم نشاطهم الدؤوب وسط الدوائر السياسية المؤثرة فى الولايات المتحدة، فإن الجدد لم يجدوا فرصتهم المواتية لتأخذ بناصية القرار السياسى، بصورة واضحة، إلا فى عهد وإدارة بوش الابن، الذى ضم إلى زمرته أفراداً مؤثرين من هذه المجموعة النشطة، واوكل إليهم مناصب فى مواقع سيادية مثل وزارات الدفاع والعدل والبيت الأبيض، وفى مواقع أخرى لها تأثيرها المباشر بالسياسات الخارجية والدفاعية والاجتماعية فى الولايات المتحدة.

وقد اعتمد الرئيس الجمهورى على عشرات من الجدد فى إدارته، وهنأ نفسه باختيارهم، فى حين ظل الباقون موجودين فى أماكن عدة كمستشارين للحكومة أو فى مناصب امنية ومواقع إعلامية واقتصادية متقدمة. وبالرغم من أن الرئيس بوش لا ينتمى شخصياً إلى المحافظين الجدد، إلا انه تأثر بهم فى سياساته، ومنذ أن قدم هؤلاء إلى البيت الأبيض فى معيته استطاعوا أن يجذبوا - بتوجهاتهم السياسية

والفكرية - اهتمام الدوائر الإعلامية والسياسية فى العالم أجمع، وأصبحوا القوة الأساسية المؤثرة فى الإدارة والكونغرس.

يقول المنتقدون لبوش وإدارته من المحافظين: إن الرئيس الأمريكى لم يأخذ القرارات، لأن آلية الحكومة التى يديرها بالاسم كانت هى التى تديره. وهذا الاحتضان الرئاسى جعل من وجود مجموعة (الجدد) السياسى والتنفيذى ملموساً ومحسوساً، كما أعطى أفكارهم وفلسفتهم السياسية متنفساً أخذ يشكل تحدياً للنسق التقليدى المألوف فى إدارة المجتمع السياسى الأمريكى. وقد اعتبر هذا التحدى الذى أخذت تشكله المجموعة للمؤسسة السياسية التقليدية على أنه "اختطاف" وقع للسياسة الخارجية الأمريكية على أيدى هذه الفئة.

ففى كتابه "أين اخطأ اليمين؟" يتهم (بات بيوكانن) مجموعة المحافظين الجدد بأنهم اختطفوا السياسة الخارجية فى عهد بوش وغيروا أفكاره، من انتقاده لفكرة أن تلعب الولايات المتحدة دور الشرطى فى العالم، إلى إتباع سياسة شن الحروب الاستباقية الإجهاضية لدعم إسرائيل، ومن أجل نشر (الأمركة) فى العالمين العربى والإسلامى وإعادة تشكيلهما.

وعلى رأس إدارة جورج بوش، وجد صقر صقور المحافظين الجدد (ديك شينى) فى منصب نائب الرئيس، وأيضاً الصقر (دونالد رامسفيلد) - وزير الدفاع السابق - والمعروف أن تشينى ورامسفيلد اكثر تأثيراً بدرجة كبيرة من أهم رموز المحافظين الجدد، فكتاب مثل "حالة إنكار" لبوب إدوارد، يركز بالأساس على رامسفيلد ومن خلفه تشينى كأكبر المسئولين عن مأزق أمريكا فى العراق، ويكاد لا يتناول المحافظين الجدد إلا عابراً.

وهناك أيضاً (بول وولفويتز) الديمقراطى السابق ونائب وزير الدفاع وأكثر المتحمسين لاحتلال العراق، و(ريتشارد بيرل) الملقب بـ "أمير الظلام" منظر احتلال العراق وصاحب نظرية استخدام القوة الأمريكية لتدمير أعداء إسرائيل، و(دوجلاس فيث) وكيل وزارة الدفاع للشئون السياسية الذى أقام مكتب الخطط الخاصة الذى انشأه بالتلاعب

بالمعلومات المخابراتية حول أسلحة الدمار الشامل.

ويشكل (بول وولفويتز) و(ريتشارد بيرل) و(دوجلاس فيث) الثالوث الجهنمى الذى سوغ للإدارة فكرة خداع الشعب الأمريكى بخطورة التسلح العراقى على الولايات المتحدة وشعبها، وجرها إلى حرب مكلفة بشرياً ومادياً وسياسياً وإنسانياً. وهو الثالوث الذى ما زال يسعى من وراء ستار إلى جرجرة أمريكا نحو المواجهة مع إيران.

أما (جون بولتون) وما أدراكم ما بولتون مندوب أمريكا السابق بالأمم المتحدة، فى الوقت الذى كان ينفى فيه وجود تلك المنظمة إلا إذا كانت أداة للسياسة الأمريكية، ولا يرى مانعا من "تدمير عشرة طوابق من طوابق مبناها" فى نيويورك. ويقول جيمى كارتر فى كتابه "القيم الأمريكية المعرضة للخطر" : إن اختيار بوش لجون بولتون كسفير للولايات فى الأمم المتحدة يعكس تبنى حكومته لفلسفة المحافظين الجدد والتى تعتمد على تبنى التدخل الاقتحامى المنفرد فى الشئون الخارجية لإعلاء شأن الولايات المتحدة ومصالحها السياسية والعسكرية، وخاصة فى منطقة الشرق الأوسط. ومن الجدير هنا بالذكر، أن جون بولتون ينتمى إلى صقور المحافظين وكان عضواً فى إدارة المجلس الاستشارى لـ "المعهد اليهودى لشئون الأمن القومى" وبعض أفراد أسرته ومنهم شقيقته يقيمون فى إسرائيل، وقد عرف عن جون بولتون احتقاره للشرعية والقوانين الدولية. نشرت له صحيفة "وول ستريت جورنال" مقالاً عام ١٩٩٧، جاء فيه "إن المعاهدات الدولية التى توقعها الولايات المتحدة لا تعتبر قوانين ملزمة، واجبة الاحترام، ولكن كضرورة سياسية لا ضرر من التحلل منها مع تغير الظروف".

إسرائيل فى وعى الجدد

تعد السمة المميزة التى ظلت تجمع المحافظين الجدد هى حبهم ودعمهم وولاؤهم لإسرائيل،ـ واتهامهم من يخالف مواقفهم فى تأييد الدولة العبرية بالعداء للسامية،ـ الذى يعنى - فى رأسهم - كراهية اليهود بسبب دينهم أو ثقافتهم أو أصلهم. فالمحافظون الجدد الذين نابذوا العالم كله تقريباً العداء استثنوا منه إسرائيل الدولة الصهيونية التى تمحور حولها تفكيرهم، معتبرين أن المصالح الأمريكية والإسرائيلية يجب أن تكون متماثلة.

أجهد المحافظون الجدد عقولهم فى تلفيق الدلائل لإثبات أن ما هو فى مصلحة إسرائيل هو فى مصلحة امريكا، وذلك لإخفاء مشاعرهم الحقيقية التى تقدم الولاء لإسرائيل على الولاء للولايات المتحدة. ويخلص بات بيوكانن (وهو من المحافظين التقليديين) فى كتابه "أين أخطأ اليمين؟" إلى أن أيديولوجية المحافظين الجدد تنطلق من مبدأ أساسى وهو تطابق مصالح أمريكا مع إسرائيل، وبالتالى فهم يدفعون الولايات المتحدة إلى محاربة أعداء الدولة العبرية.. وقد دفعوا أمريكا إلى شن الحرب على العراق وكانت - حسب رأى بيوكانن - "أكبر خطأ استراتيجى أمريكى خلال اربعين عاما".

كتب ستانلى هوفمان - البروفسور فى جامعة هارفارد - يقول: توجد مجموعة غير مترابطة من أصدقاء إسرائيل تؤمن بتطابق المصالح بين الدولة اليهودية والولايات المتحدة، وينظر هؤلاء إلى السياسة الخارجية الأمريكية من عدسة اهتمامهم الكبير: هل هى صالحة بالنسبة لإسرائيل أم سيئة؟. ويمضى هوفمان قائلاً: منذ إقامة إسرائيل عام 1948، لم يكن هؤلاء المفكرون على علاقة طيبة بوزارة الخارجية (الأمريكية) على الإطلاق، ولكنهم الآن مستحكمون فى البنتاجون.

وفى مقال نشره (دانيال بايبس) - مدير "ميدل إيست فورم" - بمجلة "كومنترى" المحافظة التى تصدرها اللجنة اليهودية الأمريكية، تحت عنوان "هل تحتاج إسرائيل إلى خطة؟" يرى الكاتب المحافظ أن الحل الوحيد للصراع الفلسطينى - الإسرائيلى، يتمثل فى أن يتخلى العرب عن حلم محو الدولة اليهودية، ولذلك يؤكد بايبس - بلا تردد - أن الصراع لن ينتهى لا بالمفاوضات ولا بالسور الواقى، وإنما بقبول أحد الطرفين بالهزيمة. أما الوصفة التى يضعها لبلوغ هذه الحالة فهى أن ما يساعدنا على تغيير موقف الفلسطينيين هو الردع الإسرائيلى، بالإبقاء على حضور عسكرى قوى وتهديد جدى باستخدام القوة، إذا تعرضنا للاعتداء. وتأتى خطورة هذا المقال من عرضه للأفكار الصهيونية دون أن تشوبها المراوغة الدبلوماسية، أو يموهها طلاء العلاقات العامة.



وقد وطد صقور السياسة الخارجية الموالين لإسرائيل - من المحافظين الجدد - مراكزهم بقوة داخل إدارة جورج بوش الابن، فتمكنوا بمساعدة مؤسسات الأبحاث اليمينية من رسم سياسة أمريكا الخارجية - وخصوصاً فى الشرق الأوسط - بما تقتضيه المصالح الصهيونية. ولقد تعلَّم جنرالات إسرائيل والولايات المتحدة كيف يتعرفون على بعضهم البعض، وذلك بفضل جهود المحافظين الجدد واللقاءات المُتبادلة التى ينظمها "المعهد اليهودى لشئون الأمن القومى" (JINSA) وهو مؤسسة تفرض على كبار العاملين فيها متابعة كافة الحلقات الدراسية والندوات المتعلقة بأفكار وأطروحات فيلسوف المحافظين ليو شتراوس.

العالم الإسلامى فى أجندة الجدد

التركيز على العالم الإسلامى له جذوره العقائدية التى يبنى عليها المحافظون الجدد منطلقاتهم الجديدة التى تتناسب وعالم ما بعد الحادى عشر من سبتمبر. وذلك ضمن أهداف إستراتيجية وأسباب عقائدية وسياسية، من بينها الحفاظ على بقاء إسرائيل، ووجودها كقوة مهيمنة ضمن المجال الحيوى للمنطقة العربية الإسلامية برمتها.

فبعد الهجوم الذى استهدف برجى التجارة فى نيويورك أعلن جورج بوش مباشرة أنها "حرب صليبية"، ولم تكن زلة لسان - مثلما قالوا - بل هى إستراتيجية مؤصلة سلفاً، بدأت بالحرب النفسية ضد العرب والمسلمين، من خلال الحملات ضد الإسلام والعروبة، ثم الحرب الإعلامية والثقافية ضد ثقافتهم ومناهجهم التربوية، ثم الحرب العسكرية باحتلال قسماً من بلدانهم، ثم بوادر الحرب الدينية والحضارية التى يُروجون لها الآن.

ويعتقد المحافظون الجدد أن العالم الإسلامى عموماً والشرق الأوسط خصوصاً، هما نقطة انطلاق أمريكا فى سياستها لإعادة بناء النظام العالمى الجديد. إذ يربط الجدد بين النازية، والشيوعية، والحركات الإسلامية، وهو ما تجلى فى خطب جورج بوش، حين يربط بشكل تعسفى ومجرد بين هتلر ولينين وحماس وحزب الله وما يصفه بـ (الإسلام الفاشى) فى حزمة واحدة.

يرى (ايليوت كوهين) أحد أكثر أكاديميي المحافظين الجدد تأثيراً والذى بدأ نجمه يسطع داخل الإدارة الأمريكية بعدما عينته وزيرة الخارجية كونداليزا رايس مستشاراً لها. يرى كوهين أن العالم يعيش الآن حرباً عالمية رابعة ضد العالم الإسلامى.

فهم يتهمون ديناً كاملاً بأنه يحرض على العنف ويخلق جواً ثقافياً يقود إلى الإرهاب، ومن ثم يؤمنون بأن الخطر الأساسى الذى يهدد أمريكا هو خطر الإرهاب الذى تقوم به جماعات مسلمة بالأساس. يقول ريتشارد بيرل : "إن السياسة الوحيدة الممكنة للغرب وللولايات المتحدة، فى كل حال، هى سياسة المواجهة طويلة الأمد ومتعددة الأشكال مع العالمين العربى والإسلامى".

وفى رده على سؤال لمراسل صحيفة "هاآرتس" الإسرائيلية، حول السبب الذى من أجله شنوا الحرب على العراق، يقول وليام كريستول - أحد المراجع المؤثرة فى عقل جورج بوش وكان من صناع فكرة غزو العراق - يقول : إن هذه الحرب تهدف أول ما تهدف إلى تشكيل وبناء شرق أوسط جديد، فهى حرب لتغيير الثقافة السياسية فى المنطقة بأكملها.

ويضيف كريستول : بعد ما حدث فى _11_ سبتمبر2001_ _استيقظ الأمريكيون ليكتشفوا أن هذا العالم أصبح مكاناً خطيراً ، ولهذا بحثوا عن مبدأ أو عقيدة تتيح لهم مواجهة هذا العالم الخطير، والعقيدة الوحيدة التى وجدوها هى تلك التى يتبناها المحافظون الجدد، وتقوم على تغيير الثقافة السياسية للمنطقة، وإيجاد نظام عالمى جديد، والاستعداد لاستخدام القوة لبناء وتأسيس هذا النظام الجديد_. وعلى هذا الأساس كانت حرب العراق لبناء النظام العالمى والشرق الأوسط الجديد_.

ويسأله محرر "هاآرتس" قائلاً : هل يعنى هذا أن الحرب ضد العراق كانت حرب المحافظين الجدد؟ فيضحك كريستول ويقول :_ هكذا يقولون لكن الحقيقة أن هذه حرب أمريكية_,_ والمحافظون الجدد نجحوا فى التغلغل داخل نسيج المجتمع الأمريكى_,_ وبسبب مثالية الأمريكيين فقد قبلوا ما عرضه المحافظون فى تبريرهم للحرب_,_ فالأمريكيون لم يرغبوا فى شن حرب من أجل المصالح لكن حينما تعلق

الأمر بالقيم والمثل وافقوا على تلك الحرب، أى أنها تستند إلى رؤية عقائدية.

ويسأله المحرر: هذه الرؤية العقائدية تعنى أنه بعد العراق يأتى دور السعودية ومصر؟ فيقول كريستول: إنه بالنسبة للسعودية فمازال هو والإدارة الأمريكية مختلفين بشأنها، لكنه يرى أنه لا يمكن السماح للسعودية بالاستمرار فى نهجها الذى يحض على كراهية ومعاداة الأمريكيين.

أما فيما يتعلق بمصر فيعتقد كريستول أنه لا يمكن الموافقة على الاستمرار فى الوضع الراهن إذ يجب أن تتبع ديمقراطية ليبرالية، ويضيف أن الاستقرار الذى يعرضه القادة العرب هو استقرار وهمى وخيالى.

وكان عدد من كبار المحافظين الجدد الموالين لإسرائيل نظموا - أوائل مارس من العام الحالى ٢٠٠٧ - ما سمى بمؤتمر "القمة الإسلامية الإصلاحية" فى الولايات المتحدة، بهدف "علمنة الإسلام" و"إعادة تفسير القرآن" بتفريغه من مضمونه. عقد المؤتمر بمشاركة وجوه علمانية بارزة، ومسئولى إعلام ومخابرات غربيين. وفى بيان صحفى قال المنظمون: إن المؤتمر سيناقش التفسيرات العلمانية للإسلام، وأهمية توسيع مساحة النقد والحاجة لنقد القرآن. ويقول البيان: إنه يهدف إلى صياغة "إسلام عصرى" من خلال إعادة تفسير الإسلام بأسلوب "عصرى".

ومن أبرز المنظمين (مايكل ليدين) الذى ينتمى إلى معهد "أمريكان إنتربرايز" الذى يساهم فى تشكيل السياسة الخارجية للإدارة الأمريكية. ومن المنظمين أيضًا "المؤسسة الأوروبية للديمقراطية" التى تعتبر الذراع الأوروبية لمؤسسة "الدفاع عن الديمقراطيات" الأمريكية الموالية لإسرائيل والتى تأسست بعد يومين فقط من هجمات ١١ سبتمبر ويسيطر عليها اليمينيون الجمهوريون من المحافظين الجدد. كذلك شارك فى التنظيم (وليام كريستول) رئيس تحرير مجلة "ويكلى ستاندرد" الأسبوعية لسان حال اليمين الصهيونى الأمريكى، وفرانك جافنى رئيس مركز الدراسات الأمنية، وهما من الرموز البارزة للمحافظين الجدد ويتمتعان بارتباطات عديدة بمؤسسات المحافظين.

وعلى الرغم من أن موضوع النقاش فى المؤتمر هو "إصلاح الإسلام" فإن أغلب

المتحدثين -وفقًا لقائمة المتحدثين التى وزعها المنظمون- من غير المسلمين، بل من العلمانيين أو ممن تحولوا عن الإسلام، ثم تخصصوا فى مهاجمته.

هجمات ١١ من سبتمبر

يرى العديد من الباحثين والخبراء أن جزءاً كبيراً من (النجاح) المرحلى الذى سجله المحافظون الجدد، فى السنوات القليلة الماضية، يعود إلى أحداث الحادى عشر من سبتمبر وتغيراتها على السياسة الأمريكية والعالم. فالمثقفون الذين اعتادوا قيادة معارك الأفكار وجدوا فرصة مناسبة لوضع نظرياتهم موضع التطبيق. إذ كانوا المجموعة الوحيدة التى أوجدت تفسيراً كما اقترحت رداً فى التو واللحظة، فقط بعد أيام قلائل من الهجمات.

وإذا كان صحيحاً أنهم لم يتوقعوا حدوثها، أو لم يسبق شىء إلى علمهم بشأنها، فإنهم على الأقل كانوا قد سبقوها بتوجيه الإنذارات: "علينا ألاّ نترك انفسنا ننام عند نهاية الحرب الباردة.. لنبقى يقظين.. إنه من المبكر أن يتم التحدث عن مغانم السلام، لأن هناك مخاطر جديدة تهددنا".

ولعله مما يستلفت النظر فى هذا الصدد ما يذكره المراقبون من أن الرئيس الأمريكى - وبعد الهجمات - انقلب من رئيس عادى كانت السلطة هى التى تستهويه، إلى زعيم وقائد ومنظر مقتنع بأنه يحمل رسالة القضاء على ما وصفه بالشر، ويذكر المراقبون بتصريح سبق أن نسب إلى جورج دبليو بوش ذاته، حين سئل مرة إذا كان يتحدث إلى "أبيه" - الرئيس الأسبق - فأجاب بأنه يتحدث إلى الأب الذى فى السماوات.. ولقد تمكن المحافظون بعد الهجمات من السيطرة سيطرة كاملة على السياسة الأمريكية.

العراق.. محطة على طريق التدمير

من المعروف أن صياغة جزء كبير من كابوس (الشرق الأوسط) الحالى، تمت على عين المحافظين الجدد وحسب رغبتهم وتوجهاتهم. إذ تعد المنطقة العربية و(الشرق الأوسط) عامة، مركز دائرة التفكير الجيوسياسى لدى المحافظين الجدد، الذين يعتقدون أنه يجب أن يتبدل طوعاً أو كرهاً، وأن يأخذ التبدل المنشود (إسرائيل) فى

حسباته.

ويقدم كتاب America Alone لمؤلفيه Stefan Hapler و Jonathan Clarke - الخبيرين فى السياسة الخارجية - التفسير وكيف أن مجموعة الجدد اختطفوا السياسة فى كل من امريكا وبريطانيا تحت مزاعم مكافحة الإرهاب ظاهرياً، فى حين كان الهدف هو إعادة تشكيل منطقة الشرق الأوسط حتى تظل دائرة فى فلك السياسة الأمريكية ومستجيبة لإيحاءاتها وتوجهاتها، ومتقبلة لفكرة التدخل الأمريكى فى شئون دولها الداخلية ومتقبلة لفكرة حروب أمريكا الوقائية.

ونشير فى هذا الصدد إلى تقرير "استراتيجية الدفاع لعقد التسعينيات" الذى أعده ديك تشينى وزملاؤه عام ١٩٩٢ - أى قبل ثمانى سنوات من وصوله إلى منصبه الحالى كنائب للرئيس - واختار هو و زملاؤه من المحافظين الجدد العراق كهدف لتطبيق تلك الفلسفة خدمة لأمن إسرائيل، ولتحويل العراق قاعدة عسكرية دائمة للولايات المتحدة فى المنطقة.

ولكن الأهم من هذا كله،هو تحقيق الحلم التوراتى بالنصر على ملك بابل وتدمير عرشه، ومن ثم قتله واستباحة دماء شعبه، ثم تحقيق المشروع الصهيونى القديم الذى ينص على تفتيت بابل، والدول المجاورة لها لتكون على شكل دويلات وكيانات متناحرة، كى تتحقق أمنية إسرائيل الكبرى. وبهذا تتمكن إسرائيل من تحقيق معظم أحلامها التوراتية والدينية والسياسية والإستراتيجية، من دون أن تهدر قطرة دم يهودية واحدة.

أكد هذه الحقيقة الجنرال (انتونى زينى) الرئيس السابق للقيادة الوسطى الأمريكية، التى نفذت غزو العراق حين قال : "إن المثقفين اليهود المعروفين بالمحافظين الجدد هم من أشعل حرب العراق خدمة لإسرائيل" وحدد ثلاثة أسماء بارزة هم (بول وولفوفيتز) نائب وزير الدفاع الأمريكى لشئون التخطيط اثناء غزو العراق، وقد سبق أن شارك فى صياغة الوثيقة المعروفة باسم "عقيدة بوش" التى تلخص الحروب الاستباقية التى تبناها الرئيس الأمريكى. أما الشخصية اليهودية الثانية فهو (دوجلاس فيث) مسئول السياسة الدفاعية أثناء غزو العراق، والشخصية اليهودية الثالثة من المحافظين الجدد

الذين ذكرهم الجنرال زينى، هو (ريتشارد بيرل) وقد شغل منصب رئيس مجلس السياسة الدفاعية التابع لوزارة الدفاع الأمريكية من يوليو ٢٠٠١ وحتى ٢٠٠٣ ، وقد ابعد من منصبه على خلفية ما نشر عن تورطه بتلقى عمولات من قبل إسرائيل عن صفقات سلاح بمليارات الدولارات من بينها تطوير الطائرة الحربية الإسرائيلية (لافى).

وقد كتب (ارى شافيت) فى صحيفة "هارتس" الإسرائيلية متبجحاً فى ١٥ إبريل ٢٠٠٤ : إن "حرب العراق كانت من بنات أفكار خمسة وعشرين شخصاً من المحافظين الجدد اغلبهم من اليهود" وجاء فى مقال للكاتب وداعية السلام الإسرائيلى أورى أفنيرى تحت عنوان "بعد انقضاء الليل" يحدد فيه المجموعة التى بادرت إلى الحرب وغزو العراق بأنها "خليط من المتدينين المسيحيين المتطرفين والمحافظين الجدد من اليهود".

إذ تنادى هؤلاء للحرب على العراق قبل وقت طويل من هجمات سبتمبر ٢٠٠١، حتى اصبحت مسألة العراق من الأفكار الثابتة لديهم. فقد كتب وليام كريستول ولورانس كابلان وهما مثقفان من صلب التيار الذى يرسم مخططات إدارة بوش كتاباً قبل بدء العمليات ضد العراق بعنوان "طريقنا تبدأ ببغداد" قالا فيه : "تعتبر حرب العراق اختبار تحدى لما بعد الحرب الباردة".

وكتب ،كينيث أدلمان، وهو ناشط من المحافظين الجدد وموظف فى البنتاجون عمل مع مجلس السياسة الدفاعية حتى عام ٢٠٠٥، افتتاحية شهيرة فى صحيفة "واشنطن بوست" فى فبراير ٢٠٠٢، قال فيها : "أؤمن بأن تدمير قوة صدّام حسين العسكرية وتحرير العراق سيكون فى غاية السهولة". ولقد رأوا فى تبديل نظام بغداد ظرفاً ملائماً للبرهان على صحة منطقهم، فأطلقوا بلاغهم القائل: من الآن وصاعداً امريكا هى القوة العليا على الكوكب، ولها السلطة، ومن واجبها إعادة رسم خريطة العالم بعد الحرب الباردة.

وفى إطار العراق، كانت قناعتهم أن سقوط صدام حسين سيبدل صورة وأوضاع المنطقة العربية، ويمكّن النفوذ الأمريكى فيها بصورة مطلقة. ومن ثم اتخذوا من أكذوبة

"أسلحة الدمار الشامل" ذريعة ملهمة رغم أنهم يعلمون أن صدام حسين لا يملك تلك الأسلحة، ولما كان عليهم أن يقنعوا الشارع الأمريكى بأحقية هذه الأكذوبة، أخرجوا حملة إعلامية صاخبة جيشوا لها محطات ومؤسسات ومراكز.

وكان روبرت جوزيف المسئول فى الإدارة الأمريكية - وهو المعروف بعلاقاته الوثيقة مع مؤسسات الأبحاث الموالية لإسرائيل كمركز "فرانك غافنى للسياسة الأمنية" - الذى دس

فى خطاب جورج بوش عام ٢٠٠٣ عن حالة الاتحاد الخبر الكاذب الخاص بشراء العراق لليورانيوم من النيجر، وهى الأكذوبة التى أقنعت الكونغرس والرأى العام الأمريكى بضرورة شن الحرب ضد نظام الرئيس صدام حسين.

إلا أنه وبعد سنوات الدمار التى أصابت هذا البلد العربى أثبت العراق - بفضل سواعد أبنائه فى المقاومة الوطنية - فشل عقائد المحافظين، كما اثبت أيضاً كم هؤلاء مغرورون ومثاليون وغير قادرين على فهم حدود القوة الأمريكية.. خاصة وأن الحجج المقدمة لتبرئة هذه الحرب قد فُضحت أمام الأشهاد وبات الذين اختلقوها يتبرأون منها.

يقول وليام كريستول - الذى يعد الأب الروحى للجيل الحالى من المحافظين الجدد - : "إنه لا مفر امامنا من إثبات قدرتنا على النجاح فى العراق لأن فشل المشروع الأمريكى هناك سيشكل انتكاسة كبرى للمحافظين الجدد".

فى مقابلة مع شبكة الـ "بى بى سى" فى العام ٢٠٠٣ تقول ميراف وورمسر "عندما بدأ الهجوم على العراق، فتحنا زجاجة شمبانيا.. كانت لحظة انتظرناها لسنوات طويلة.. كنا نقوم بعمل خارق من خلال الدفع نحو هذه الحرب.. لم يخطف أحد شيئا.. لم نغسل دماغ الرئيس.. انه يعمل وفق معتقداته وقناعاته الخاصة". ولم تمض بضعة أعوام حتى أعربت وورمسر عام ٢٠٠٦ عن خيبتها من الانتكاسات التى عرقلت مشروع المحافظين الجدد قائلة : "أنا إسرائيلية ومن العصابة.. هذه الجماعة تتألف من أكاديميين أصبحوا جزءا من إدارة بوش لكنهم فشلوا فى تمرير أفكارهم من خلال البيروقراطية.. هم مجموعة من المفكرين الذين أتوا بأفكار عظيمة، لا أزال أؤمن بها،

لكنهم لم يجدوا طريقة للترويج لمعتقداتهم فى ظل تعقيدات البيروقراطية".

وتشدد وورمسر على أن "القرار الأخير لم يكن بين أيديهم. كان هناك الكثير من الإحباط عبر السنوات فى الإدارة لأننا لم نشعر بأننا كنا ننجح.. (جون) بولتون غادر وكثيرون غيره يستعدون لذلك.. جميعنا نشعر بأننا انهزمنا بعد السنوات الخمس الأخيرة". وتعد وورمسر أحد أهمّ واضعى تقرير الإستراتيجية الجديدة لضمان أمن إسرائيل فى العام ١٩٩٦ بالتعاون مع آخرين من أمثال ريتشارد بيرل ودوجلاس فيث. وقد تمحور موضوع أطروحتها لشهادة الدكتوراه حول أفكار فلاديمير جابوتنسكى، منظر اليمين الإسرائيلى ، الذى يعتبره بنيامين نتنياهو "أباه السياسى"، والذى رفع الشعار القائل "أيها الفتية اليهود، تعلموا استخدام السلاح".

إيران.. الذبيحة المرتقبة

لا يكل المحافظون الجدد فى البحث وبشكل دائم عن مشاريع وأهداف خارجية جديدة لآلة الحرب الأمريكية. خاصة وأن الرغبة فى إعادة تشكيل الشرق الأوسط ، وليس فقط العراق، لازالت فى رؤوسهم.

فبعد فترة قصيرة من غزو العراق، حذّر معاون وزير الدفاع الأمريكى بول وولفويتز من أن "هناك حاجة لإحداث تغيير فى سوريا". كما أن أصدقاء إسرائيل يشيرون بإلحاح إلى أن إيران هى العدو "الحقيقى". ولم تتوقف الآلة الإعلامية بعد عن ترديد مقولات مثل : إيران تدعم المقاومين العراقيين وسوريا تسمح للجهاديين بالتسرب عبر حدودها إلى العراق، وكل ذلك من أجل تصوير دمشق وطهران على إنهما متورطتان بقوة فى عمليات المقاومة ضد الاحتلال هناك.

وفى واشنطن الآن، يكاد تلاميذ ليو شتراوس يفقدون صبرهم بتعميم الفوضى إلى السودان ولبنان وربما مصر. ففى هذه المرحلة لم يعد أحد يتحدث عن نشر الديمقراطية، إنما فقط عن إعادة تشكيل الأقاليم وتأديب المارقين.

تقول (ميراف وورمسر) - مديرة مركز الدراسات الشرق أوسطية فى معهد "هادسون" -

: لم تكن حربنا فى العراق إلا جولة من حرب طويلة الأمد. من الخطأ الظن أن أهدافنا تقف عند العراق.. يجب أن نستمر وبسرعة أكبر". وتعد وورمسر أحد أبرز المروجين لأفكار المحافظين الجدد، وأكثر المهتمين برص صفوف هؤلاء ونفض غبار العراق عنهم وإعادة إحياء برنامجهم السياسى الخارجى.

ولازال (روبرت جوزف) - وهو من دعاة الضربات الاستباقية، بما فيها استخدام الأسلحة النووية، ضد الدول المعادية التى تسعى إلى حيازة أسلحة الدمار الشامل - يردد تصريحات زعماء إسرائيل بأن "برنامج إيران النووى يقترب من نقطة اللا عودة وبأن حيازة إيران للسلاح النووى لا يمكن قبوله". ويقول أيضاً : "إن خصوم أمريكا الجدد (إيران) يسعون إلى الحصول على أسلحة دمار كافية لابتزازنا بحيث لا نقدم العون إلى اصدقائنا (إسرائيل؟) الذين سيصبحون ضحايا العدوان".

ويقول اليكسيس ديبات - مدير الأمن القومى والإرهاب بمركز نيكسون - : إن وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) أعدت خططاً لشن هجمات شاملة تستهدف ١٢٠٠ موقع فى إيران بغرض استئصال القدرة العسكرية الإيرانية فى غضون ثلاثة أيام. وفى اجتماع نظمته مجلة "ذى ناشيونال إنترست" - وهى مجلة محافظة تهتم بالشئون الخارجية - قال ديبات : إن المخططين العسكريين الأمريكيين أعدوا خططاً لشن هجمات خاطفة ضد المواقع النووية الإيرانية، وأضاف أنهم "يتحدثون عن استهداف القدرة العسكرية برمتها".

ونقلت صحيفة "صنداى تايمز" ٢ - ٩ - ٢٠٠٧ عن مصدر فى واشنطن لم تكشف عنه قوله : إن "الحرارة آخذة فى الارتفاع داخل الإدارة الأمريكية". ووفقا لمصدر مطلع آخر قالت الصحيفة إن واشنطن تعتقد أنه من الحكمة استخدام قوة سريعة وشاملة للقيام بعمل عسكرى. ونبهت إلى أن إسرائيل التى حذرت من أنها لن تسمح لإيران بامتلاك الأسلحة النووية، قامت باستعداداتها الخاصة بها لشن ضربات جوية، وقالت إنها على أهبة الاستعداد للهجوم إذا ما تراجع الأمريكيون.

واليوم باتت هناك جماعات منظمة تعمل بنشاط ، لخلق قضية من أجل شن الحرب

ضد سوريا وإيران معا. فالمنظمات مثل "فاوندیش فور ديمقرسي ان إيران" (مؤسسة من أجل الديمقراطية فى إيران) و"مجموعة دراسة لبنان" هى منظمات تتلقى تمويلها وكوادرها بشكل رئيس من قبل المحافظين الجدد وجماعات التأييد التى ترى فى خيار الحرب الطريقة الوحيدة لإنهاء تهديدات "الأنظمة المارقة".

كما ان الـ "إف دى آى" التى يترأسها كينيث تيميرمان والتى تضم عضو المحافظين الجدد (جشوا مورافيشك) و(بيتر رودمان) كأعضاء مؤسسين، تنشر على موقعها عناوين مثل "كيف يمكن إسقاط الملالى" و"هناك خيار بديل لوثيقة هاملتون - بيكر". وجميعهم يتمتعون بعلاقات وطيدة مع اللوبى الإسرائيلى، ورودمان بالذات له صلة قوية مع الموساد.

ويشدد مرشح الرئاسة الأمريكية الجمهورى المحافظ كارل شوارتز، على ان "المحافظين الجدد يسعون إلى السيطرة الكاملة على إيران، ضاربين بعرض الحائط معارضة الرأى العام وبعض الدول النافذة مثل روسيا". ويضيف شوارتز "الإرهاب بات عذرا لتغيير ما يرفض الناس تغييره.. لقد فشلت السياسة الأمريكية تجاه إيران والمنطقة نتيجة ارتباطها بالمحافظين الجدد وإسرائيل".

ويعد مايكل ليدين أحد أبرز الداعين إلى ضرب إيران والأكثر بروزاً فى مجال الكتابة والتحليل لدى المحافظين الجدد، بحيث أصبح فى طليعة منظرى فكر هؤلاء ومنبعاً للأفكار العسكرية التى نتجت عن سياساتهم، ومن ضمنها دعوته لتصدير "الثورة الديمقراطية" والتى تتضمن فى جوهرها دعوة "التدمير الخلاق".

وإلى جانب ليدين، يبرز بين المحافظين الجدد النافذين مستشار تشينى للشئون الأمنية جون هانا، الذى يعتبر مسألة تغيير النظام فى دمشق شغله الشاغل، ومستشار تشينى الآخر والمسئول السابق عن الموظفين، ديفيد ادنجتون، الذى يلقب بـ "الرجل الأكثر نفوذا الذى لم تسمع عنه من قبل"، والذى عرف بنظرية "الالتفاف على الدستور".

دراسة

الموروث الشعبى الفلسطينى
بين الأصالة والمعاصرة

حاتم عبد الهادى السيد

(البكرج اللى انتصب رنت فناجينه) "مثل فلسطينى"

يحكون فى بلادنا، يحكون فى شجن
عن صاحبى الذى مضى وعاد فى كفن
كان اسمه، لا تذكروا اسمه
خلوه فى قلوبنا، لا تدعوا الكلمة
تضيع فى الهواء كالرماد
خلوه جرحاً زاعقا لا يعرف الضماد
طريقه إليه.
"محمود درويش"

ربما كان من الأجدر بنا ونحن نتباحث فى الموروث الشعبى الفلسطينى أن نبدأ بأبيات من قصيدة "وعاد فى كفن" للشاعر الفلسطينى "محمود درويش" حتى يمكن لنا أن نوصل الماضى بالحاضر ونستشرف لآفاق المستقبل للأمة الفلسطينية المناضلة.

وإذا كان الاحتلال الإسرائيلى الآن يحاول طمس الهوية والتراث الخالد للشعب الفلسطينى وذلك بمحاولاته الخبيثة لضم "جبل داود" ضمن التراث اليهودى فى خريطة الأمم المتحدة فإننا لذلك ندرك مدى أهمية البحث فى الموروث الشعبى لدولة فلسطين المحتلة، وذلك فى محاولة منا لإظهار الهوية للفلسطينيين، ولإظهار تراث قيم تزّور حالياً من اجل تثبيت دعائم الصهيونية العالمية.

وأزعم أن البحث فى الموروث الفلسطينى لابد وان يتناول قضية الأصالة والمعاصرة كنتاج حتمى تقضيه الضرورة الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية للحالة التى أصبحت عليها الدولة الفلسطينية الآن.

فقد ذكر أصحاب فهارس المدن (ومعادن البلدان) بعض الأساطير والآثار الخاصة بالمدن الفلسطينية ففى (الفهرست.. الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية) أورد المؤلف أن "الرملة" موجود بها الجامع الأبيض، ومدفون داخله ثلاثمائة من الأنبياء والصديقين، كما أن مدينة (طبرية) يوجد بها قبر النبى شعيب وقبر ابنته زوج الكليم ،موسى،، وقبر ينسب إلى نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام بجامعها المعروف "جامع الأنبياء" ويقال أن فى القرب منها جب يوسف كما أن "عسقلان" يوجد بظاهرها وادى النمل.

أما مدينة (يافا) وكما يورد "فؤاد إبراهيم عباس" (١) . فيقال أن الذى أسسها هو يافث بن نوح، ولكن المرجح أن اسمها " فينيقيا ومعناه (الجميلة)" ويقال أنها أسست قبل الطوفانGarroting: The Story of Jericho, London 1940.

ولما غزا بنو إسرائيل فلسطين سنة ١٤٠٠ ق. م بقيت يافا تقاومهم ولم يأخذوها عنوة إلا بعد أن ضعف سلطان الفراعنة، وتقاسم بنو إسرائيل البلاد، وقيل أن "عشتروت" الإلهة عبدت فى يافا وكانت على شكل امرأة نصفها الأسفل من السمك، واعتبرت أنها راعية للصيادين، كما كان يجاور معبدها بركة مقدسة فى يافا تحفظ بها الأسماك.

ويرى (تولكوفسكى) صاحب كتاب تاريخ يافا: S. Toikowsky: The Gateway of Palestine. A History of taffa condon 1942

أن البضة (موقع ينخفض فى شمال شرقى يافا تتجمع فيه الأمطار) وهو موقع تلك البركة المقدسة، كما أننا نجد أثراً من عبادة الإله داجون Dagon فى اسم قرية "بيت دجم" المجاورة لمدينة يافا.

كما يورد لنا فؤاد إبراهيم عباس فى كتابه "العادات والتقاليد فى الموروث الشعبى الفلسطينى" بعضاً مما أورده القاضى مجير الدين الحنبلى فى كتابه "الأنس الجليل بتاريخ القدس والجليل" بعضاً من الأساطير الفلسطينية وأغلبها عن بيت المقدس ومقدساتها، ومن ذلك أن سفينة نوح عليه السلام طافت بالبيت الحرام الذى بمكة المكرمة أسبوعاً كاملاً ،ما طافت ببيت المقدس اسبوعاً كاملاً قبل أن تستوى على الجودى فى مدينة الموصل بالعراق، كما يضيف بأن السفينة لما بلغت بيت المقدس نطقت بإذن الله وقالت: "يا نوح هذا بيت المقدس الذى يسكنه الأنبياء من ابنائك"، كما نقل صاحب "الأنس الجليل" بأنه يوجد عند باب التوبة طلسم مكتوب على لوح فى حائط مسجد القدس فلا تقرب الأفاعى والحيات من ذلك المكان لوجود الطلسم وإذا وجدت حية فمن المؤكد أنها غير سامة، ويقال: أن الرخ وهو الطير الأسطورى كان قد خلق من وادٍ من أودية بيت المقدس حتى سلط الله عليه طيوراً جارحة كثيرة فأبادته هو ونسله.

ومعلوم أن فلسطين تشتهر بالزراعة، ولعل أول ثورة زراعية ابتدأت فى مدينة أريحا فى الألف السادس قبل الميلاد . كما يقول ج برونوفسكى (٢): تلك المدينة الفلسطينية التى تحكى قصة الاستقرار البشرى منذ العصر النيوليش (8: 5 Neolithictimes) آلاف سنة قبل الميلاد) وهى مرحلة الانتقال الثقافى فى عصر الجمع والالتقاط والصيد إلى مرحلة الاستقرار وإنتاج المزروعات الغذائية وصناعة الطعام.

ومما يورده لنا "سليم عرفات المبيض" (٣) فى كتابه "الحصيدة فى التراث الشعبى الفلسطينى": أن عالم الآثار الأمريكى روبرت براد وود " قد أورد بأن سكان أريحا زرعوا

الحبوب ودجنوا الحيوانات، كما تغزل بها الوزير الفرعونى "سنوهى" فى قصته الشهيرة عندما قدم للبلاد فى القرن العشرين قبل الميلاد ١٩٦١ ق. م يقول: كان فيها الشعير والقمح وماشية من جميع الأنواع ولا يحصرها العد(٤).

ولعل الهدف من اورادنا مثل هذه المقتطفات أن ندلل على أصالة فلسطين كأرض ملك للفلسطينيين، وليست ارضاً للمعاد كما يذكر أصحاب برتوكولات حكماء صهيون، وعلى رأسهم تيودور هرتزل، ولقد انتشرت الأغانى الشعبية التى تعبر عن الطموحات السياسية وتفصح عن الأحوال الاقتصادية التى مارسها البريطانيون بالأظافر الصهيونية، ومنذ أن سافر الحاج/ أمين الحسينى . رحمه الله . رئيس المجلس الإسلامى الأعلى بفلسطين وقائد كفاحها ومفتى ديارها المقدسة، حيث سافر إلى برلين سنة ١٩٤١ ليقابل "هتلر" لمطالبته بمنع تدفق هجرة اليهود الألمان لفلسطين، وفى هذا المقام انشد الشاعر أمين الخلاص قصيدته الشعبية الشهيرة، ذاكراً الرحلة ومندداً بالممارسات الصهيونية لليهود والألمان يقول (٥).

بابورى رايح وبابورى جاى = وأنا اللى قاعد وحدى حزين بابورى رايح على برلين= جايب لى هدية من الحاج أمين الله يجيبه على فلسطين = وإحنا منه ممنونين = يا حاج أمين شوف ها الحالة = من بعد القمح أكلنا نخالة تعالى وهدى ها الحالة = وإحنا منك ممنونين يا حاج أمين شوف ها العيشة = من بعد القمح أكلنا جريشة تعالى وهدى ها العيشة = وإحنا منك ممنونين

وانطلقت الأمثال الشعبية رافضة جباية الضرائب على الأراضى، بل ودعى الفلاحون إلى الإضراب عن زراعة القمح ومن الأمثلة الفلسطينية التى قيلت فى ذلك(٦).

= "زوان بلدنا ولا قمح الصليبى أو "الغريب".

= "شعيرنا ولا قمح غيرنا".

فهم يفضلون مرارة "الزوان" على قمح الغرباء وذلك فى محاولة منهم لرفض

الإمبريالية البريطانية المتعسفة والمؤيدة لاستلاب الصهيونى للأرض، وما صاحبها من وعد بلفور، ثم الانتداب البريطانى فكان التحدى الشعبى للفلاحين: فانطلقت الأمثلة الشعبية لتندد بالضرائب ومنها:

= "ضريبة ما يتدفع مال ويركو ما عليك".

وهذا المثل يقال لتشجيع كل فرد يرفض دفع الضرائب، و (مال الويركو) ضريبة عثمانية فرضت عام ١٨٨٦م على أصحاب الأملاك فى فلسطين، فقد دأبت الحكومة البريطانية على استيراد الدقيق الأبيض وطرحه فى أسواق فلسطين لضرب الإنتاج المحلى، وكان الشعب مستيقظاً فرفض مثل هذه الممارسات ورفض الزراعة فى مشرق بئر السبع بحجة وجود "المشاش". الأرض المالحة. وذلك لأن جباة الأعشار. الضرائب. كانوا يأخذون باقى المحصول فقال شاعرهم:

الحمد لله وراية الله علينا شاش = اللى حكم بالعدل مع زارعيين لمشاش= رفرف عليها الزرعى وطار وشاش = نقاه عفير ما خلا ولا حبة تطلع= وريحة رواحهم من الكبد كمان تطلع = حسبم للمعدود لقوا عليهم زيادة تطلع

ومن عادات أهل فلسطين أنهم كانوا ينصرون إخوانهم فى القرى المجاورة وتسمى تلك العادة "الفزعة الجماعية" (٧)حتى يشاركوهم فى النضال الجماعى ضد العصابات الصهيونية والمغيرين، كما كانوا يشتركون فى بناء المنازل ومن أهازيجهم فى هذا الاحتفال:

يا دار لا تخافيش =واحنا حماتك وسورك = الدم الأحمر لنحميك = من كل ويش يزورك

وإذا كنا قد أشرنا بداية بأنه من المفيد أن ندرس الموروث الشعبى الفلسطينى فى صورة معاصرة فإننا ولابد أن نعرج على بعض الأناشيد القومية التى تدعو إلى المطالبة بالاستقلال وبناء الدولة العربية الإسلامية والدعوة لاستقلال الأمة العربية ووحدتها

ومن هذه الأناشيد الوطنية التى كان يرددها أبناء الشعب فى فلسطين وكما يوردها فؤاد إبراهيم عباس قول شاعرهم:

شبوا على الخصم اللدود = إلى متى أنتم نيام = قوموا إلى الموت الزؤام = وامشوا له مشى الأسود

وقولهم:

نحن خواضو غمار الموت كشافو المحن = نبذل الأرواح نفديها لإحياء الوطن = هل سوى الأرواح للأوطان فى الدنيا ثمن

وقولهم:

يا ليوث الوغى = خصمنا قد طغى فلنمت كلنا = فى سبيل الوطن

وقولهم:

بلاد العرب أوطانى = من الشام لبغدان ومن نجد إلى يمن = إلى مصر فتطوان فلا أحد يفرقنا = لنا دين يوحدنا لسان الضاد يجمعنا = بقحطان وعدنان

وبدو فلسطين يحيون حياة تكاد تنسق وحياة البدو فى شبه الجزيرة العربية، وبادية سيناء، فهم يلبسون العقال والعباءة والكوفية، ويلبسون الثياب المصنوعة من صوف وبر الجمال والماعز، كما تلبس النساء الثوب البدوى المحلى المصنوع من أنواع النسيج المحلى، كما يلبسون غطاء للرأس (المنديل أبو سفريته) والشرشف شتاء.

كما يسكنون الخيام وبيوت الشعر ويسهرون بالليل للتسامر ويرقصون الدبكة ويعملون بالزراعة، ويأكلون من عرق أيديهم، ومن أشهر أكلاتهم الفتة والمجدرة والبصارة والشواطى والعجة وغيرها، ويشربون اللبن (الرايب)، ويذبحون الشياه والخراف كما

يغرمون بأكل الحلوى، ويصفون المربى ويشربون العصائر.

وتشتهر المرأة الفلسطينية بالجمال، وتتحلى بالثياب الزاهية، ولقد استغل اليهود جمال اللبس الفلسطينى فسرقوا صناعته وادعوا أنه من إسرائيل(٧).

كما يتداوون بالأعشاب البرية، وبالكى ولقد ظهر منهم أطباء شعبيون متخصصون فى جميع الأمراض الجسمية والعصبية والنفسية.

ولقد ظهر ايضاً فى فلسطين تصوف ومتصوفون وشعراء ومن أشهر المتصوفة "رابعة العدوية" التى ابتدعت الحب الإلهى فى مذهب التصوف الإسلامى، ولقاءها مع "ذى النون المصرى" ذكره السراج القارى فى كتابه "مصارع العشاق" ونقله عن الزبيرى فى كتابه "إتحاف السادة المتقين"

كما يتبرك الفلسطينيون بالأولياء والشيوخ المبروكين ويحب الرجل الفلسطينى كثرة الإنجاب، ولعل الدافع إلى ذلك سياسى فى المقام الأول وهدفه إكثار عدد الذرية لإعمار الأرض، وجلب المنفعة للوالدين، والذود عن الأوطان، لذا حاربت الصهيونية العالمية ظاهرة الإنجاب فى فلسطين، وسعت إلى الحد من الإنجاب بكل الطرق، وما الانتفاضة الفلسطينية وسقوط الشهداء الفلسطينيين من الأطفال إلا دليلاً دامغاً على الوطنية الساعية لعودة الأرض السليبة لتحقيق الأمن والأمن، وليعلو السلام أشجار الزيتون، ومن المعلوم أن شجرة الزيتون يحترمها الفلسطينيون ويسمونها "شجرة النور" فيصفون العريس ليلة زفافه بالزيتونة المضيئة وفى هذا قال شاعرهم:

عريسنا ها الزيتونة = والزيت ينقط منه = وعريسنا واحد = يارب كتر منه

ولعل كثرة المزارع والبيارات فى فلسطين قد أدت إلى دوام عمر الانتفاضة، وتنبه اليهود لذلك فسعوا إلى قلع أشجار الزيتون والبرتقال والليمون والسيطرة على المياه لإخضاع الأهالى لهم، ولقد أحدثوا بذلك كارثة نفسية واجتماعية واقتصادية وسياسية مما حدا بالفلسطينيين لنفض الكبت عن كاهلهم والغضب العام، فكان زاد الانتفاضة زاداً

ثقافياً وتراثياً تربى على كره اليهود وأفعالهم المكارثية عبر العصور الظلامية التى مرت وتمر بها فلسطين إلى الآن.

وبعد: فالدارس للموروث الشعبى الفلسطينى لابد وأن يتكىء على معين التراث القديم لفلسطين ويربطه بالصورة الحالية لحياة شعبه، فلا ينفصل الحاضر عن الماضى، ولا مستقبل بدون الاعتبار من المآسى السابقة، فلا يعقل أن ننسى الصراع الحضارى بين اليهود والعرب على مر الأجيال وما فلسطين إلا البؤرة التى قد تغلغل داخل اوصالها الخبثاء، فأصبحوا كسرطان ينهش فى الجسد، بينما كل يوم تجدد الشرايين الدماء بالشهداء، عسى أن يأتى يوم لتنتصر الإرادة ويخرج الغرباء مندحرين من كل الأراضى العربية المحتلة فى لبنان وسوريا مثلما خرجوا قبلاً من سيناء المصرية وطابا، وهم وان انتشروا الآن على منابت النيل فى أفريقيا "يهود الفلاشا" فإنما ليحققوا حلماً واهياً لامتداد حضارة زائفة لهم، ومصطنعة، تمتد حدودها من الفرات إلى النيل، لذا كان البحث فى الموروث الفلسطينى ضرورة تقتضيها اللحظة الراهنة لتدلل أن عرب فلسطين أبناء الأرض الأصلاء، هم الأحق بأرضهم وخيراتها، فلا دراسة لموروث حضارى قديم دون ربطه بمعاصرة آنية، خاصة أن الصراع العربى - الإسرائيلى قائم وقديم فلا حديث عن موروث ثقافى دون التعرض للأحداث الاجتماعية والسياسية والثقافية المتمثلة فى الموروث الشعبى حتى يمكن لنا أن نقف على لحمة الحقيقة، وكبد الأشياء، وعظمة الأجداد الذين خلفوا تراثاً وطنياً وثقافة ضارية فى الأصالة وتستشرف لحداثة آتية.

ذلك كان هدفاً أساسيا فى دراسة الموروث الشعبى لعرب فلسطين العظماء.

المراجع الأجنبية :

.Garroting: The Story of Jericho, London 1940

S. Toikowsky: The Gateway of Palestine. A History of Jaffa, London .1942

هوامش



١- فؤاد إبراهيم عباس، العادات والتقاليد فى الموروث الشعبى الفلسطينى، مؤسسة العروبة للنشر ١٩٨٩م.

٢- ح. برونوفسكى، ارتقاء الحضارة، ترجمة د. موفق شخاشيرو، عالم المعرفة ١٩٨١م.

٣- سليم عرفات المبيض، الحصيدة فى التراث الشعبى الفلسطينى، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩٠م

٤- د. أحمد فخرى، دراسات فى تاريخ الشرق القديم، الأنجلو المصرية، ١٩٨٤م.

٥- على الخليلى، أغانى العمل والعمال بفلسطين، منشورات صلاح الدين، القدس، وانظر فى هذا سليم عرفات، مرجع سابق، ١٥٨ : ١٥٩,

٧- فؤاد إبراهيم عباس، مرجع سابق ٥١ : ٧٥.

كتاب

بلاغ ضد أم نقد ثقافى لإميل حبيبى؟!

خالد زكى

رغم غيابه المديد عن الساحتين السياسية والثقافية الفلسطينية فإن إميل حبيبى لايزال يثير الجدل من حوله. وهذا الكتاب هو فى الأصل رسالة دكتوراة قدمها خضر محجز إلى (معهد البحوث والدراسات العربية) بعنوان (البنية الثقافية فى كتابات إميل حبيبى، وقد تمت مناقشة الرسالة فى السادس من حزيران / يونيو لعام ٢٠٠٦م ونالت الرسالة درجة الامتياز مع مرتبة الشرف الأولى.

فى هذا الكتاب سبر المؤلف ، خضر محجز ، أغوار المثقف الفلسطينى إميل حبيبى، بوصفه ابن شفا عمرو، وربيب حيفا، والمثقف الإسرائيلى، بوصفه ملتزماً بالجنسية، والذى أثار جدلاً بين المثقفين خاصة ، بعد جمعه بين المتناقضين، بحصوله على «وسام القدس» من الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات، كما حصل على جائزة الإبداع الإسرائيلية، من يد رئيس الوزراء الإسرائيلى آنذاك إسحق شامير.

اعترف محجز فى بداية دراسته، بأن دورة البحث بدأت تنخر عقله حيال إميل حبيبى، حال قدوم السلطة الفلسطينية عام (١٩٩٤) وفى نفس الظروف التى نشأت فيه (مشارف) مجلة إميل حبيبى ذات التوجه الواضح نحو «التطبيع» والتى سارع المؤلف نفسه للنشر فيها، رغم علمه مسبقاً بتوجهها هذا . (ص٢١).

خلص الباحث إلى أن البنية الثقافية لكاتب ما، تعود إلى علاقة كل عنصر ثقافى برؤى الكاتب المؤثرة فى كتاباته ، لا الواعية منها فحسب بل واللاوعية كذلك أى ما يمكن تفسيره من خلال نظريات اللاشعور.(ص٢٧).

وبناء على ذلك، فإن على القارئ التهيؤ للغوص فى اجتهادات محجز ، فى لاشعور، ولا وعى إميل حبيبى، فى كل شاردة وواردة، وعلى القارئ ، أيضاً، أن يقبل بتحليلات المؤلف، ويقتنع بها.

أما فى المنهج وآلية البحث، فقد ذكر الباحث فى أكثر من موقع بأن التحليل الجمالى للنص ضرورى، لكنه غير كاف لمشروع النقد الثقافى، كما قلل الباحث من شأن النشوة التى يتوسل بها الجمال، ووضعها موضع مساءلة، وأورد بأن هنالك نشوة حميدة، ونشوة خبيثة! كما شرع الباحث فى بيان خطواته الإجرائية، وخطته ، وتقسيم فصول كتابه.

ولتناول الإطار الفكرى الثقافى عند إميل حبيبى، أورد محجز الخلفية التاريخية للحزب الشيوعى الفلسطينى لحين انضواء الشاب إميل حبيبى، فى «عصبة التحرر الوطنى»، فى لجنتها المركزية، عام ١٩٤٤، والتى انتهجت سياسة وطنية، ورفضت قرار التقسيم حين صدر سنة ١٩٤٧، لتعود وتوافق عليه، أثناء معارك ١٩٤٨. وتتبع عجز اندماج «العصبة» بالحزب الشيوعى الفلسطينى تحت اسم الحزب الشيوعى الإسرائيلى فى الثامن عشر من تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٤٨ حتى تشرين الثانى نوفمبر ١٩٦٥ حين انقسم هذا الحزب إلى حزبين بالاسم نفسه ، وسمى التقاء الأغلبية العربية «القائمة الجديدة» (راكاح)، التى ضمت فى رأس قيادتها مائير فلنر، توفيق طوالى، إميل حبيبى، إلى أن اعترف الاتحاد السوفيتى فى تموز. يوليو عام ١٩٦٧، براكاح، على أنه الحزب الشيوعى الشرعى فى إسرائيل.

وهكذا كان إميل حبيبى، منذ هذا التاريخ، أحد أركان هذا الحزب، ومؤسسيه فى أعلى مراحله.

وهنا أعاد المؤلف تلفع إميل حبيبى بالأيديولوجيا، إلى رغبته فى الاستحواذ على السلطة، أملاً فى أن يوصله تلفعه هذا إلى عضوية الكنيسيت (ص٨٠) شيئاً الرجل وكأنه غيمة فى بنطلون! وإذا كان من حقنا أن نختلف مع حبيبى حيال مواقفه، إلا أننا لا نستطيع أن نتمادى فى تسطيحه ونشخصن الأمور، ونزعم بأن كل مواقفه إنما

انطلقت من مصالح ذاتية.

تحليل الإنتاج الفكري

قسم محجز المراحل الفكرية التى مر بها إميل حبيبى، إلى ستة مراحل هى:

١) البدايات من التمرد إلى المواطن المثالى (١٩٤٣ - ١٩٤٨)

وهى مرحلة ممتدة من انضمام إميل حبيبى للحزب الشيوعى الفلسطينى، إلى السنوات الأول من إقامة الدولة اليهودية، وهنا رجح المؤلف أن حبيبى قد انحاز إلى موقف القيادة العربية، وتميز بوعى قومى لافت إلى جانب وعى ماركسى أممى، ووطنية فلسطينية، ونلحظ ذلك فى تصديه لمحاولات صهينة الحزب سنة ١٩٤٣ (ص ١٢١) حين وقف حبيبى إلى جانب القيادة الشرعية التى صادف انها عروبية النزعة فاستطاع ان يرتفع مرة واحدة، إلى مرتبة عضو لجنة مركزية، ليسهم فى تشكيل «عصبة التحرر» فيما بعد.

لعل الأمر المستهجن ميل محجز إلى الاعتقاد بأن حبيبى كان يعلم منذ البداية بأن تشكيل «عصبة التحرر» هى مرحلة آنية وسوف يقاد الوحدة للحزب المنقسم ، وإذا كان قائداً هنا، فإنه من البديهى أن يكون قائداً هناك!

وفى هذه الفرضية كم من المبالغة والتجنى، وخصوصا بأن فرضية المؤلف هذه دون سند أو بيان.

٢) المناضل المدنى (١٩٤٨- ١٩٦٧)

اعتبر حبيبي نفسه مواطناً إسرائيلياً مناضلاً، عنها ومنها يدافع عن حقوق المواطنين العرب المدنية، ويخوض معارك الحركة الشيوعية فى المنطقة العربية، حينا آخر. فلقد كان له ولحزبه الفضل فى كشف مذبحة كفر قاسم (١٩٥٦م).

وهنا يفاجئنا محجز، مرة أخرى بملاحظات عديدة حول طريقة تعامل حبيبى مع مذبحة كفر قاسم، نذكر منها:

١ - إن حبيبى لم يقدم بشأنها استجواباً فى الكنيست، وإنما الذى قام بذلك هو رفيقه توفيق طوبى، وهنا هل يريد المؤلف الإشارة إلى أن حبيبى كان معترضاً على تقديم هذا

الاستجواب من رفيقه توفيق طوبى!؟ لا أظن ذلك، إنما أراد المؤلف أن يشير بأن عدم تقديم الاستجواب، من قبل حبيبى، يعتبر إدانة له أو تقصيراً منه.

٢- إن حبيبى لم يوقع مقالاته ، التى نشرها فى جريدة الحزب «الاتحاد» حول المذبحة، باسمه الشخصى، وإنما باسمه المستعار المشهور (جهينة).

وهنا أعجب من ذكر هذه الملاحظة، فلو ما أراد حبيبى أن يكتب عن المذبحة لما كتب أصلا، أما أنه كتب عن المذبحة، ووضع اسمه المستعار المشهور حينها فلأنه كان يكتب تحت هذا الاسم أصلا.

٣ - إن كل ما كتب عن المذبحة كان باسم الحزب فلا ضير فى ذلك أيضاً فحبيبى ركن من أركان هذا الحزب، ألم يبد المؤلف العديد من الملاحظات على الحزب، الذى ينتمى إليه حبيبى، محاولاً بيان وعى حبيبى الزائف،!؟ وهنا يحاول الإشارة بأن هنالك فرق بين مواقف حبيبى ومواقف حزبه!.

٤ - أصدر حبيبى كتابه عن المذبحة، بعد حدوثها بعشرين عاماً كاملة، وفى مناسبة حدوث مذبحة (يوم الأرض) فى يوم ١٩٧٦/٣/٣٠، إذ صدر الكتاب فى تشرين الأول / أكتوبر ١٩٧٦م!

وهذا كتاب غير مشروع، ولوم غير مبرر، فمازلنا، لغاية هذه اللحظة نرى من يكتب عن نكسة ١٩٦٧ بعد مرور أربعين عاماً عليها.

٣) بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧م (١٩٦٧ - ١٩٧٣)

لم يكن مستهجناً إلى تأثير هزيمة حزيران / يونيو ١٩٦٧ على الفلسطينيين فى الدولة اليهودية، كان مضاعفاً ، خصوصاً بعد تأكدهم من أن التحرير لم يعد فى المتناول فى المدى المنظور على الأقل، وهنا نشط حبيبى فى تسهيل دمج فلسطينى الدولة اليهودية، فى المجتمع اليهودى، دمجاً كاملاً كما بذل جهداً سياسياً، كان يهدف إلى إقناع الحكومة الإسرائيلية بضرورة سحب قواتها من المناطق التى احتلتها فى عدوان ١٩٦٧.

٤) بعد عام ١٩٧٣م

فى هذا العام حقق الغرب أول نصر عسكرى يعتد به وفى العام ٧٤ اعترف النظام العربى الرسمى بمنظمة التحرير الفلسطينية، كممثل شرعى ووحيد للشعب





الفلسطينى، وهنا رأينا حبيبى يستخدم مصطلح (الزلزال) وعبر عن تفاؤله لإسرائيل وللفلسطينيين بزوال الغمة ، وبقاء إسرائيل على أرض عام ١٩٤٨، وانبعاث حق الفلسطينيين، فى تقرير مصيرهم على أراضى الضفة والقطاع. وفى هذه المرحلة تطورت علاقة حبيبى بمنظمة التحرير، الأمر الذى أتاح له أن يرد على منتقديه ، بأن التاريخ أثبت بأن موقفه هو الصحيح!

٥) الانتفاضة ثم الخروج من الحزب

كان طبيعياً أن يتردد حبيبى فى تأييد الانتفاضة الفلسطينية التى اندلعت مع نهايات عام ١٩٨٧، ضد قوات الاحتلال الإسرائيلى فى الضفة والقطاع كانت رئاسة حبيبى لتحرير صحيفة الحزب (الاتحاد)، قد أصبحت فى مهب الريح، مع بداية نشره لمقالاته المؤيدة للبرسترويكا، منذ العام ١٩٨٥ وكان المدير المسئول عن الصحيفة، آنذاك، توفيق طوبى، قد سئم من تفرد حبيبى برئاسة التحرير، وتحويله (الاتحاد) إلى إقطاعية عائلية.

وفى ينسان/ إبريل عام ١٩٨٧) تمت إقالة حبيبى من رئاسة تحرير (الاتحاد) استمر حبيبى ببعث المقترحات للجنة المركزية للحزب، مشدداً على ضرورة تبنى الإصلاحات السوفيتية، ومن ثم تقدم لهم باستقالته التى تم قبولها. وهنا يدلى محجز بدلوه، ويغوص فى لا وعى حبيبى ليقول بأنه يظهر بأن إميل لم يكن راغباً رغبة حقيقية فى الاستقالة (ص١٧٧)، ولا ندرى كيف تمكن محجز من معرفته بعدم رغبة حبيبى فى الاستقالة؟!

٦) بعد الخروج

بدا حبيبى متمرداً على تصرفات لا ديمقراطية فى الحزب الشيوعى الإسرائيلى، ومراجعاً شاملاً لمجمل المنظومة الفكرية التى قامت عليها الأحزاب الاشتراكية والماركسية فى العالم.

وفى العام ١٩٩٥ أصدر إميل حبيبى مجلته الأدبية (مشارف) بعد أن حصل لها على دعم مزدوج من كل من رئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات ووزارة المعارف الإسرائيلية ! لتكون آخر محطات حبيبى الفكرية، وليتوفى بعد ذلك بأقل من عام.

الإنتاج الإبداعى من منظور ثقافى

رواية (الوقائع الضريبة فى اختفاء سعيد أبى النحس المتشائل)

القصة عبارة عن مجموعة رسائل تلقاها الراوى من أحد نزلاء مستشفى الأمراض العقلية فى عكا، واقتصر دوره على قراءتها لنا، كمتلقين، لتؤلف فى مجموعها هذه الرواية التى تتألف من ثلاثة كتب، هى، على التوالى:

١ - يعاد، صدر عام ١٩٧٢

٢- باقية، صدر فى أواخر ١٩٧٢.

٣- يعاد الثانية، صدر فى أواسط عام ١٩٧٤.

بطل الرواية هو سعيد أبو النحس المتشائل ، عربى فلسطينى، منهار تحت وطأة هزيمة روحية ، قادته من اتجاهات ثلاثة:

١ - تجدره من أسرة عريقة فى العمالة.

٢ - ضعف شخصيته

٣ - قوة العدو الصهيونى، وجبروته.

لقد أبدى محجز العديد والعديد من الملاحظات على هذا النص، فمن منظور بنيوى شكلانى (ص٢٠٢) اعتبر أن الجيوش العربية القادمة لتحرير فلسطين من الأسر، غير مرغوب بحضورها من الأميرة المأسورة بسبب تشككها فى دوافع تلك الجيوش، مفضلة الأميرة التقاء فى الأسر. وهنا يقول المؤلف أن لا شعور إميل حبيبى أعاد إنتاج الحكاية، لكى يقوم المتلقى بطرح السؤال الثقافى التالى: هل كان على الأميرة أن تنحاز، فى الواقع الفلسطينى إلى سجانها ضد البطل، ولماذا ؟ (ص٢٠٧).

ومن منظور آخر يرى محجز أن التيمة الأساسية فى هذه الرواية هى ضرورة إعطاء العميل فرصته لا ليبرر فعل خيانته فحسب، بل لكى يجعل هذا الفعل أمراً عقلانياً. (ص٢١٦).

وهنا يفرض السؤال التالى نفسه هل الجلوس على الخازوق، وابتداء القص فى الكتاب الثالث (يعاد ثانية) من فوقه أمراً عقلانياً؟! وانتظار سعيد لصديقه الفضائى ليحمله على ظهره حتى يحلق بالفضاء هو الترجمة لهذه العقلانية، الذى أراد أن يبرر لنا فعل الخيانة من خلالها.

خلال إبداء محجز لملاحظاته نرى منه اعترافاً لا لبس فيه، كخطاب حبيبى الجمالى، الذى يصفه مرة بأنه يؤدى رسالة تحذيرية (ص٢١٧) تحدث لدى المتلقى نشوة ، تغيب

الوعى وفى مرة أخرى يصر المؤلف بأنه خطاب جمالى شديد الخصوبة، مترع بالتراث (ص٢١٨).

بينما كان الباحث فى بداية كلامه عن المنهج وآلية البحث بأن التحليل الجمالى للنص ضرورى، وغير كاف لمشروع النقد الثقافى ص٣٧ فيما غفل المؤلف هذا الجانب تماماً وكأنه يتنكر لأدوات التحليل الجمالى، على حساب العناصر الثقافية المؤثرة فى رؤى الكاتب.

أخطية

طبع هذا النص ، ووزع على الأقطار العربية كافة برعاية (م.ت.ف) وترجم إلى العبرية، والفرنسية، والألمانية، وروج له كثيراً ، واعتبر محجز هذا النص بمثابة مذكرات سياسية، ما أمكن الاحتفاء بها لو لم تكن لإميل حبيبى.، وفى حديثه عن هذا النص، يذكر المؤلف بأن به ذكريات عن أيام مضت، تقطعها استطرادات مملة، يتوخى المؤلف حبيبى من ورائها إطالة النص، ليقنعنا بأنه يكتب رواية، فأسلوب الاستنكار ورغم أنه مبرر فنياً إلا ان الاقتصار عليه يدلل على سكنى الماضى، وعدم القدرة على تجاوزه، نحو اللحظة الحاضرة (ص٢٥٣).

وهنا نلاحظ ان الباحث وفى عجالة، حلل هذا النص جمالياً، حيث أخذ على الراوى عدم تحميله لشخوصه ، فى نصه هذا ، لأى بنيان ثقافى لكى يتمكن من أن يديرهم ومن رؤيته الكلية، وممسكا بكلتا يديه، بسلطة السرد، وسلطة التفسير ص٢٤٧.

وهنا على مدار ثمانى عشرة صفحة، المساحة التى خصصها الباحث لتناول أخطية، وفق محجز فى تناول النص، سواء من الناحية الجمالية أو النقدية الثقافية فى حين أنه فى تناوله (للمتشائل) وعلى مدار خمس وخمسين صفحة، نرى أنه أرهق نفسه فى رصد البنيان الثقافى للرواية، واعتبارها كتشفير ثقافى، بذل جهداً مضنياً لفك رموزه، متجاهلاً، فى الوقت نفسه، اى إشارة، لأى تحليل جمالى، يمكن أن يحسب لإميل حبيبى، وإذا صادفه فى استعراضه أى سطوة جمالية، فإن محجز يبذل جهداً فى تفريغها من محتواها مشككاً فى برائتها.

نتائج البحث

خلص المؤلف إلى أن البنية الثقافية فى كتابة إميل حبيبى، بدت محكومة بأنساق

ثقافية على النحو التالى:

١ - نسق الحكمة الكلية، ولعل هذا ناتج عن عدة اعتبارات: مكانته المتقدمة فى الحزب، وشهرته الأدبية، وشخصيته الكاريزمية، وأخيراً عضويته فى الكنيست الإسرائيلى.

٢- نسق التأثير، لا نسق الإقناع.

٣- نسق استخدام التراث، كخيار أسلوبى معاكساً لهويته.

٤ - النسق الشرقى فى تناول قضايا المرأة

٥- نسق التهوين المستمر من أمر العمالة للعدو.

فى الختام لابد من الاعتراف بالجهد المضنى الذى بذله د. خضر محجز فى دراسته هذه عن إميل حبيبى المثقف الفلسطينى بوصفه ابن شفا عمرو، وربيب حيفا، والمثقف الإسرائيلى، بوصفه ملتزما بالجنسية، والذى جمع بين المتناقضين بعد حصوله على «وسام القدس» من الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات، كما حصل على جائزة الإبداع الإسرائيلية.

كما لابد لى، أن أسجل شديد اعجابى، بخطوات الباحث الإجرائية، وبيانه لخطته، وتقسيمه لفصول كتابه، كما أننى لا استطيع أن أغفل امتلاكه لناحية السرد، والتفسير، والتحليل، من خلال خطاب لغوى معبر يبسط المفاهيم، ويجعلها مؤهلة للتناول ومع ذلك فأن إميل حبيبى: الوهم والحقيقة مازال ماثلاً لدى بين الوهم والحقيقة، كنت آمل أن يدفعنى هذا الكتاب إلى اعتبار إميل حبيبى «وهماً» كما حرص محجز أن يصوره منذ البداية، أو يدفعنى إلى اعتباره حقيقة، كما كره المؤلف لحبيبى أن يكون.

بين العقاد وأمين الخولى

د. ماهر شفيق فريد

من أكثر المساجلات الأدبية تشويقا فى عقد الستينيات من القرن الماضى المساجلة التى دارت بين عباس العقاد وأمين الخولى على صفحات الكتب والجرائد والمجلات.

ومن المؤسف أنه لم يظهر حتى الآن مؤرخ أدبى جاد يتولى هذه المساجلة بالتقويم والتعليق. وكل ما رأيته عنها - وقد تكون فاتتنى أشياء - فصل يحمل عنوان «أمين الخولى وبنت الشاطئ» من كتاب عامر العقاد «العقاد: معاركه فى السياسة والأدب» (دار الشعب، د.ت) وبديهى أن الكاتب قد انحاز إلى صف العقاد ولم يعد أن روى طرفا من ردوده على الخولى.

وثمة مقالة عنوانها «كليلة ودمنة المصرية» (مجلة الجديد ١٥ يناير ١٩٧٣) بقلم عبد المنعم شميس وهو كاتب سطحى الفكر، ثقيل الظل، حسب ظلما على جماعة الأمناء لأنه كان يجلس فى قسم اللغة العربية فى كلية الآداب بجامعة القاهرة من الخولى مجلس التلميذ - شأن مئات غيره - ولأنه كان يزوره ويخالط تلاميذه ومريديه. وقد شبه شميس المعركة بين الرجلين بمعركة أحمد أمين وزكى مبارك حول جناية الأدب الجاهلى على الأدب العربى، ورأى أن هناك صفة تجمع بينهما - العقاد والخولى «فقد كان كلاهما يحمل رأسا أصلب من الصخر».

وتدل الشواهد على أن خصومة العقاد والخولى كانت أقدم عهدا من الستينيات بكثير.

ولا مفر من الاعتراف بأن الخولى كان البادئ بالتحرش، ويبدو أنه بما طبع عليه من اعتداد بالذات ورغبة فى التبريز - قد غار من شهرة العقاد الذائعة ومكانته فى العالم العربى كله، على حين لا يكاد يعرف الخولى سوى تلامذته ومريديه. وفى مجلة ،الأدب، (مارس ١٩٦٠) - وهى المجلة التى كان يصدرها الخولى - ذكر أنه منذ أكثر من ربع قرن (أى حوالى عام ١٩٣٤) راعه جناية السياسة الحزبية على الحياة الأدبية،، وجموع أقلام الكتاب (حتى ليصف العقاد الدكتور هيكل بأنه : الولد المسطول!) فكتب إلى العقاد رسالة هذا نصها:

إلى الأديب العقاد

سلام الله عليك ورحمته ،. وبعد.. لعل كتابى هذا إليك نصيحة وأعظ أكثر مما هو نقد أديب، ولهذا لا يعنينى قط أن تنشره بل انا أعفيك من ذلك تماما، إذا قرأته فى هدوء أو مع محاولة الهدوء. ذلك أن الأمر ليس بينى وبينك، ولكنه أمر جيل وشأن شبان.. فى الوقت الذى نرى فيه شبابنا يعز بينهم التفاهم ، ويعسر تناول النقد، فنصرخ فيهم: أن ذلك منهم ليس إلا جهلا بالحرية، أو كراهية لها لأنهم لو كانوا أحرارا حقيقيين، أو طلاب حرية، عن رغبة صادقة لاعترفوا بوجود مخالفيهم، واحترموا شعورهم، وفى الوقت الذى نحاول أن نحبب فيه هؤلاء الشبان فى شيم العلماء من سعة الأفق، وحسن تقدير قواهم الإنسانية، والاستعداد الدائم لتقبل حقائق جديدة، وآراء مخالفة.. فى هذا الوقت نرى أحد حملة الأقلام الذى يطلعون على هذه الشبيبة، صباح مساء، بضروب من القول فى الاجتماع والسياسة.. نرى العقاد يرد أمس على منتقديه، فى مقالة ،مناقشات فى النقد والأدب واللغة، فلا يكون رده إلا حثوا للتراب فى وجوه ناقديه، وغيظا يتوثب من كلماته وشططا عجبا ينتهى به إلى أن يتحدى بوضع لفظ مكان لفظ فى البيت المنقود،.. ويا عجبا يا أخى: لقد أبدلت فى القرآن كلمات بكلمات فى قراءات مختلفة، مع المحافظة على معناه، بل مع المحافظة على إعجازه.. ولا أقول لك:

،إن العربية قد عرفت بسعتها وتقبلها لذلك الإبدال مع المحافظة على المعنى،.

ولكنى أقول لك إن الله - مهما يكن رأيك فيه - قد تحدى بعشر سور، ولما تشدد تحدى بسورة من مثله، ولكنك أنت تتحدى بلفظة مكان لفظة.. فأنت أكبر كثيرا من أن يقال لك ،سبحانك!،.. كيف خانك قلمك حتى قذفت بهذه الدعوى الغريبة فى وجوه ناقديك، وماذا أنت فاعل إن دفعنى النصح إلى أن أصارحك برأى نفر غير قليلين فى

شعرك، وهل أنت مبارزهم على هذا القول الجرئ!

إنها - أصلحك الله - جناية السياسة علينا ، أفسدت ما أفسدت من أخلاقنا وكذلك فعلت بأقلامنا .. وإنه لمرض أتبينه فى جميع الصحفيين الذين عانوا النقد والحكم، لأنهم حين يتناولون خصومهم تبيح لهم السياسة - قاتلها الله - كل قالة، وما يعنيهم إلا أن يحسنوا الاستهواء، ويستحلوا فى سبيله كل محرم..

وتدع الصحف اليومية إلى المجالات، بل إلى كبرياتها فتقرأ فى «المقتطف» نقد الرافعى للعقاد، فإذا هو على هذا الحال من اللذع والتقريع، فأى سم هذا الذى تجرعونه شبابنا أيها الكهول.

تعالت دعواك الجبروت .. لكن كتابى هذا إليك مسارة، لم أدفعه إلى نشر ولا أبغى به تشهيراً فلعلى .. وهذه ظروفي - أرى من حقك على، ومن واجبى أمام نفسى أن أذكرك بموقفك أمام القضاء، ذلك الموقف الذى كشف جبروتك كشفا لا انعته.. لأنى لا استطيع أن أسبك.. ولأن هذا قد يكفى مثلك.

اتق الله فى جيلك واكفف خطر طريقتك عن الشبان، وتلق ناقديك تلقيا أهذا من هذا وأدب.. وإن أبيت إلا أن تمضى فى طريقك، وراقك أن تقدم لى نصيبا من هذا الذى تقذف فلك ما تشاء، فإنى ساعة صممت على أن أكتب إليك، وطنت نفسى على احتمال كل شىء، فى سبيل النهى عن المنكر، وأحللتك من كل ما تفعل والسلام عليك..»

ولم يرد العقاد على رسالة الخولى - وقد كتبها إليه بصفة شخصية - وإن كان الخولى يقول: «وصح ما توقعته، واحتسبت عند الوطن الكثير الذى تطايرت إلى رشاشة من السب واللعن».

ثم أورد الخولى كلاما لعزيز أباظة فى مدح العقاد مدحا مسرفا نشر بجريدة «الأخبار» فى ١٩٦٠/٢/٥ وكلاما لنفس الجريدة فى ١٩٦٠/٢/١٠ يقول «إن العقاد قرأ من الكتب العالمية مجموع ما قرأه كل أساتذة الأدب فى جامعاتنا.. لو وزعنا معلوماته على عشرة أساتذة لأصبح كل أستاذ منهم عالما». وينعى الخولى - وهو محق - إرسال الكلام على عواهنه على هذا النحو الذى تسوده المبالغة، بل التهويل، ويعوزه الدقة، وتتجسم فيه مقارضة الثناء بل تبادل الاسراف.

لكن بداية المعركة السافرة بين الرجلين قد آذنت بها المقدمة التى كتبها الخولى عن أصول كتابة السير والتراجم لكتابه «مالك: تجارب حياة» (سلسلة أعلام العرب(١١)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ١٩٦٢). نقد الخولى

مفهوم «مفتاح الشخصية» فى عبقريات العقاد، واعترض على تسميته بعض تراجمه «عبقرية» والبعض الآخر» فى الميزان» مرتئيا أن الكل فى الميزان بلا تفرقة، فالكل ليسوا إلا بشرا. وكتب فى أحد الهوامش:

«من خفيف الملاحظة التى تغير صورة المترجم له تغييرا عنيفا، ونتبين بها الحاجة الشديدة لأصول التاريخية فى رسم الصورة الأدبية أن عبقرية الإمام على للأستاذ العقاد فى طبعة الهلال تزين غلافها صورة فارس على جواده شاكى السلاح، وكأنها خلاصة عمل الفن المنظور فى تقديم صورة على «المقاتل» ولا يكاد يلمح أحد فى هذا إلا التجاوب العادى من الفن فى عرض التاريخ لكن التاريخ ينكر هذه الصورة، إذ يعلن حكم الرسول عليه السلام أن عليا راجلا من المشاه خير منه فارسا، ويروى ذلك فى حادثة كانت يوم بدر إذ قال على للمقداد: أعطنى فرسك أركبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنت تقاتل راجلا خير منه فارسا» فركب على الفرس، ووتر قوسه، ورمى فأصاب إذن فرسه هو، فصرمه، فضحك النبى صلى الله عليه وسلم حتى أمسك على فيه، فلما رأى على «ضحكه غضب» فسل سيفه ثم شد على المشركين فقتل ثمانية قبل أن يرجع، فقال على: لو أصابنى شر من هذا كنت أهله، حين يقول أنت تقاتل راجلا خير منك فارسا - أبو حيان: الامتاع والمؤانسة ج٢ص٩٥ - فكلمة التاريخ أن علياً ليس في خير حول فارساً؟ مصو،رة الغلاف ضد هذه الحقيقة واحترام التاريخ يستبعدها!!».

وواضح ما فى هذا القول من تحامل، فالعقاد ليس مسئولا عن التصميم الفنى لغلاف كتابه (وقد صدرت منه ثلاث طبعات تخلو من هذه الصورة قبل الطبعة التى يعلق عليها الخولى) وربما كان الفنان قد رسم الغلاف دون أن يقرأ من الكتاب سوى عنوانه أو صفحات قليلة منه.

فتح الخولى على نفسه بهذه المقدمة أبواب الجحيم، فقد أصلاه العقاد - بعلمه الغزير ومنطقه الصارم ولسانه اللاذع - نارا حامية فى أربع مقالات متتابعة بجريدة «الأخبار» جمعت فيما بعد فى كتابه «يوميات» (الجزء الأول، دار المعارف، الطبعة الرابعة ١٩٨١).

فى المقالة الأولى «دعوى فى الميزان» (الأخبار ١٩٦٢/١٢/٥) كتب العقاد: «ما رأيت أحداً يأخذ الشيخ أمين الخولى مأخذ الجد فيما يدعيه لنفسه وما يدعيه على غيره، بل ما عرفت إنسانا يتعالم على الناس وهو أحوج منه إلى أن يتعلم ممن يتعلم عليهم، وليس

أضيع من كلام يذهب فى مناقشة صاحب دعوى يحسب أن اللياقة تسمح له أن يقدم كتابا فلا تكون مقدمته إلا عرضا رخيصا قصاراه أن يقول فيه: هذه هى الترجمة وإلا فلا.. فاقراونى ولا تقرأوا أحدا سواى!..

وأضاف: «فالحكاية، كلها جميعا، أن العباقرة ومن هم فى الميزان هم كلهم جميعا فى الميزان. نعم. ولكن الذين هم فى الميزان ليسوا كلهم عباقرة أفمهوم هذا؟».

وأورد العقاد ما يثبت شدة بأس على بن أى طالب راجلا وفارسا على السواء، إذ كان يقاتل فارسا فيقتل ثمانية فى كرة واحدة، وكانت وقائع صفين تشهد فروسيته وغلبته على أنداده، وكان السعدى - شاعر الفرس - يسميه فارسا وهو يركب الدلدل بغلته الموروثة، وقد ذكره حافظ إبراهيم فى العمرية فسماه فارس عدنان:

ما كان غير أبى حفص يفوه بها   أمام فارس عدنان وحاميها

وسخر العقاد من مظهر الخولى سخرية غير كريمة فقال:

«لقد رأينا الشيخ بخمسة أزياء فى مدى شهرين اثنين: رأيناه يلبس الفيصلية والقميص المفتوح والسروال القصير، ورأيناه يلبس الجبة على «الياقة» المنشاة وفى يده أساور النشا بالأزرار الذهبية ، ورأيناه يلبس الجلباب البلدى والصندل فى قدميه، ورأيناه يلبس الجاكتة والبنطلون عارى الرأس أو لابس العمامة، ورأيناه ورأيناه ورآه مثلنا الطلاب والأساتذة فى الجامعة كما رأيناه..

فمن من هؤلاء هو «الخولى العلمى التاريخى الموضوعى»؟ ومن منهم يبيح التاريخ وضع صورته على غلاف ترجمته؟ ومن منهم تبطله كلمة التاريخ؟

وفى المقالة الثانية (عبث لا يسكت عليه، الأخبار ١٩٦٢/١٢/١٩) كتب العقاد: «الحق أنه عبث لا يسكت عليه لأحد، ولا يسكت عليه - خاصة لإنسان لم يكتب صفحة إلا ليتعالم بها على الناس بدعوى التحقيق والتصحيح والفهم النافذ والعقل الرجيح، وليس يحتاج الناس إلى التحذير من أحد كما يحتاجون إلى التحذير من إنسان يتطاول ويتعالى باسم الأسانيد والمراجع وهو بهذه الجراة على ما يجهل وبهذه الجراة على ما يعلمه ثم يستطيل عليه بالتبديل والتحريف».

وفى المقالة الثالثة (الأخبار ١٩٦٢/١٢/٢٦) وصف الخولى بأنه «نطق دهرا وسكت قهرا».

أما المقالة الرابعة (الأخبار ١٩٦٣/١/٢) فكان عنوانها «المتهافت بأنفاسه».

وأذكر أنى زرت الأستاذ الخولى - وكنت من مريديه ومن كتاب مجلته «الأدب» - فى بيته

بشارع العجم (أصبح اسمه الآن : شارع أمين الخولى) بمصر الجديدة فرأيته مكفهر الوجه، مغبر الأسارير، متهيج الأعصاب بعد هذه السهام الجارحة التى رماه بها العقاد على صفحات جريدة من أذيع الجرائد اليومية وأكثرها انتشارا. وحاولت جهدى أن أخفف عنه فلم أفلح، وماذا كان بمقدورى أن أفعل وقد كنت وقتها طالبا فى سنته الجامعية الثانية، لا يملك لأحد نفعا أو ضرا؟ كل ما وسعنى أن كتبت كلمة قصيرة فى باب «بريد القراء» بجريدة «المساء» أناصر فيها الخولى على خصمه الجبار.

وقد رد الخولى على العقاد على صفحات «الأخبار» ولكن رده لم يحدث أثرا يذكر بالقياس إلى مقالات العقاد النارية، ثم خصص عدداً من المقالات في مجلته «الأدب» لنقد العقاد تحت عناوين من قبيل: «العقاد بين الجرح والتعديل»، «أدب البحث والمناظرة»، «النقد فريضة والشباب وديعة»، «وزن الرجال أمانة»، «العقاد تجرحه السياسة»، «العقاد يجرح نفسه»، «حق الحق».

وعمد الخولى بثقافته الفقهية وهو خريج مدرسة القضاء الشرعى - إلى تطبيق أصول الجرح والتعديل علي العقاد ، مستعينا فى ذلك بأقوال المفكرين وفقهاء وعلماء كثيرين: الشهرستانى، ابن فرحون، الغزالى، ابن الصلاح، السخاوى، الخطيب البغدادى، أحمد بن حنبل، ابن جماعة، القاضى عياض، الحافظ الرازى. وغمز العقاد فى عقيدته الدينية: «ينقل عنه غير واحد أنه يقول عن الألوهية المفحش البشع، الذى لا يستساغ نقله هنا. وشر ما يكون الأمر أن يتصدى للدفاع عن الإسلام والتعريف برجاله من له فى التدين هذه الحال» (مجلة الأدب، فبراير ١٩٦٣). ووصف الخولى مساجلته مع العقاد بأنها «مأساة لا معركة» (نفس العدد المذكور من المجلة) ولكن عبثا، فقد كان أسلوب الرد الذى اصطنعه هنا فقهيا عتيقا لا يتجاوب معه إلا قلة من العارفين بهذه الأمور.

وفى مجلة «الأدب» (مايو ١٩٦٣) كتب الخولى تحت عنوان «رسائل شفوية»: «فى صباح يوم الثلاثاء تاسع إبريل حدثنى تليفونيا أحد الأبناء من خيرة شبابنا.

وفى مساء اليوم نفسه شافهنى صديق من رجالاتنا، وقد ربطا طلبهما بما لهما على من حق الأبوة والأخوة وكريم الصداقة، لأقتنع معهما بالاكتفاء بما كتب فى نقد السيد عباس العقاد فنزلت على رغبتهما فى ألا أكتب أنا شخصيا بعد ذلك فى نقده الإجمالى، أما النقد التفصيلى فلا يحول دون فريضته رجاء.. وأما غيرى فله حريته»، والشاب المشار إليه هنا هو كاتب هذه السطور، أما رجل القضاء فلا أذكر الآن من هو،

وإن كان الخولى قد أخبرنى وقتها باسمه.

وتحت عنوان «وزن الرجال أمانة» (مجلة الأدب، مارس ١٩٦٣) نعى الخولى على أجهزة الدولة الثقافية منحها العقاد جائزة الدولة التقديرية فى الأدب (هنا يفتقر موقف الخولى إلى الاقناع، وتفوح رائحة غيرته الشخصية، إذ ما من عاقل ينكر أن طه حسين والعقاد هما أعظم أدبيين مصريين فى النصف الأول من القرن العشرين، وأنه ليس ثمة من هو أجدر منهما بأرفع شارات التكريم وأعلى الجوائز) ويسط الخولى من سجل العقاد ما رآه صحائف غير مشرفة مثل مناداته بمحالفة العدو من الإنجليز ضد النازى أثناء الحرب العالمية الثانية، وضعفه فى موقف محاكمته أمام القضاء، وثنائه على الملك فاروق شعرا ونثرا وتردده بين مختلف الأحزاب.

وحين توفى العقاد كتب الخولى تحت عنوان «كلام بحسرة قائلين» (مجلة الأدب إبريل ١٩٦٤):

«رحمة للعقاد بين يدى مولاه.. وأحوج منه إلى الرحمة من كتبوا عنه ما لايفيده.. بل يؤذيه لو انصفوه.

والموضوع هو الكلمة التى قالتها الأخبار يوم ١٦ فبراير .. وهى طلب من العقاد أن يترفق بالصراصير الصغيرة التى تدور حول حذائه، وفيها «إن فى حذاء العقاد من العلم والمعرفة والثقافة أكثر ألف مرة مما فى عقول الصراصير التى تهاجمه اليوم» وهوكلام ليس أخص فى التعليق عليه من قول أهلنا إنه : «كلام بحسرة قائلين ولو ورث صاحب هذا الكلام حذاء العقاد لتعلم منه ما يغنى عن التعليق على كلامه ويرد عقله إلى رأسه.

وإذا طلبت الرحمة للعقاد بين يدى ربه .. ورايت أصحاب مثل هذا الكلام أحوج إلى الرحمة منه فإنى مع ذلك أطلب رحمة التاريخ للعقاد حتى لا تكون عملاقيته وعبقريته مقدرة بمثل موازين هؤلاء الذين يستطيعون أن يقولوا اليوم مثل هذا الـ...»

وتظل هذه المعركة (فهى معركة وليس مأساة كما أدعى الخولى) واحدة من علامات الطريق فى حياتنا الأدبية، وصفحة من التاريخ الأدبى ذات دلالة، شأنها فى ذلك شأن معارك أخرى خاضها طه حسين والرافعى وعلى عبد الرازق وزكى مبارك والمازنى وهيكل والزيات وإسماعيل مظهر وسلامة موسى وأحمد امين وابو شادى وسائر أولئك الفحول. كانوا رجالا بكل معانى هذه الكلمة، جديرين بالاحترام حتى فى لحظات جموح الأقلام بهم، واستبداد الأهواء (أى منا قد برئ منها؟) بما يسطرونه على الطرس. لهذا يظفرون منا بالمحبة جميعا على اختلاف توجهاتهم، وتظل مساجلاتهم



- الغالب منهم والمغلوب - مصدر إلهام، ومنبع متعة عقلية ووجدانية، وباعثا على التأمل وإعادة النظر والمراجعة.

بورتريه

إبراهيم عبد المجيد

فريد أبو سعدة

الذين يملأون عيوننا لا نراهم !! لا بد من مسافة ما ليمكن تأملهم باعتبارهم خارجاً، و هذا ما لا يمكن عمله مع إبراهيم عبد المجيد، إبراهيم من هذا الجيل، الذي خرج إلى الدنيا بعد أن عصفت بها الحرب الكونية الثانية، عاش حياة قاسية و غريبة في آن، هناك بالطبع ملامح مشتركة بين أبناء هذا الجيل و هناك أيضاً تجليات فردية، مثلاً سأفهم أن ينقل جمال الغيطاني كتب التراث في كراسات المدرسة بخط منمق، و أنقل أنا دواوين كاملة لم يكن في مقدوري شراؤها ، أما أن يعيد إبراهيم كتابة روايات كاملة ، معدلاً في العناوين ، فهذا أمر آخر يتجاوز الضائقة المالية إلى الرغبة في أن يكون خالقاً لهؤلاء الذين أحبهم في روايات الآخرين. سيعيد كتابة (أنا الشعب) و يمنحها اسماً جديداً هو (شعاع الجلباب الأزرق) !! و يعيد كتابة (سلوى في مهب الريح) ، و يكتب مجموعة من القصص بعنوان (هذه القلوب) على غرار (هذه النفوس) للسباعي من هنا ستبدأ رحلة إبراهيم العجائبية، رحلة إلى حيث الأحداث مقررة سلفاً !! و سيبدو كما لو كان بطلاً في تراجيديا من تراجيديات القدر اليونانية. لابد أن هذه القراءة/ الكتابة قد فتحت عينيه على الحياة و الناس، و لابد أنه سيرى الحياة رواية هائلة، أكبر من تلك التي أعاد كتابتها، و سوف يتساءل بالتأكيد عن السبب في مضي الأشخاص و الوقائع على هذا النحو !!

سوف تغريه الروايات، في الواقع و في الكتابة، على كتابة قصص من حياته الشخصية يجرب فيها أن يكون قادراً على توجيه الوقائع و الأشخاص كما يفعل هذا القدر الخفي، الذي يجلس في مكان ما و يفعل هذا بالبشر!

(التحايل على المعايش) تعبير مصري صميم، يعبر عن رغبة المصري وقدرته في نفس الوقت على مناورة الحياة و البقاء في أصعب الظروف، بل وتحويل الألم ذاته إلى فن جميل ومتع سرية!

هذا هو ابراهيم، العاطفي شأن صغار التلاميذ في هذا الزمان الفائت، يكوّن مع بعض زملائه فرقة لإصطياد المحبين الصغار، يكتب لهم الرسائل الغرامية مقابل قرش أو نصف قرش حسب الحالة! مستخدماً في ذلك ما يحفظه من خاتمة رواية (إني راحلة) ثم يذهبون إلى السينما بما تجمع لهم من قروش.

ستصبح السينما مصدراً من مصادر إبراهيم و مرجعاً لمعرفة كيف يكوّن رواياته جنباً إلى جنب مع هذه الأخلاط الغريبة من البشر: الفلول التي نزحت إلى الأسكندرية من الصعيد و الدلتا تحت وطأة الفقر، بعضهم أصحاب عزّ زائل وبعضهم هارب من ثأر أو طامح إلى حياة أفضل، مغامرون و أفاقون و أولاد عرب.

كان عليه أن يعاشرهم و يقترب من أهوائهم و رؤاهم، أحلامهم و كوابيسهم، أفراحهم و أحزانهم، هؤلاء هم الذين عمل معهم في صباه في السكك الحديدية، وشركة الأسمنت، و الملاحات، و الترسانة البحرية و غيرها من أشغال.

إدمان القراءة ، والولع بالسينما، و العمل المبكر وسط هؤلاء ثلاثة مصادر لكتابة ابراهيم، مع ذلك كان يمكن أن تتحول الوقائع المدهشة و الشخصيات الغريبة إلى روايات بالقوة يكتفي باستعادتها من حين إلى حين كما يفعل مع الأفلام، و كان يمكن أن يهدر هذا الغنى الباهظ في كتابات رديئة عن الفقر و الكفاح و لعن الزمان، كان يمكن أن يحدث هذا و لكن مصادفة تنقذ الفتى من هذا المصير، و تنقذ لنا هذا العالم الفريد فيظل أكثر خلوداً من أصحابه الذين يمضون إلى نهايتهم في صمت، ومن دون أن يعبأ بهم أحد.

كان الصبي، ابن الستة عشر عاما، يهرول تحت المطر بحذاء مخروم ليصل إلى الصدفة الكبيرة في حياته، يصل إلى ندوة كان ضيفها الناقد الكبير محمد مندور، وكانت لحظة التنوير الأولى في حياة الصبي. اكتشف أن هناك ما ينبغي قراءته بجانب الروايات والقصص، هناك النقد الأدبي و الفلسفة و التاريخ و علم النفس.

في هذا النور الغامر فتحت له كتب مثل (الوان) لطه حسين و (بين الكتب والناس) للعقاد آفاقاً أوسع، و اشارت له و عليه بقراءة كتب اخرى لكتاب آخرين، فاندفع آخذاً نفسه بالشدة في قراءات اكثر عمقاً و تنوعاً و تنظيماً، و صار له من الوعي ما جعله قادراً على فحص هذا العالم الذي اغترفه اغترافاً، بل وقادراً على استيعاب طرق أخرى غير الحكي البسيط، طرق يستطيع بها أن يخلّص الواقعة من ضرورتها الغفل و يطلقها إلى الحرية حيث التأويل ممكن!

لم يكن هذا فقط دور الوعي، بل سيجعله (و هو الذي كان قد حصل على دبلوم صناعي و عمل به في الترسانة) يعيد النظر في حياته، فيدرس من جديد، و يحصل على الثانوية العامة، و يلتحق بالجامعة ليدرس الفلسفة. كانت هذه مرحلة أخرى اهم في التكوين العقلي و الثقافي لإبراهيم عبد المجيد، إذ سيلتقي في الجامعة بعقول هائلة مثل د. ابو ريان، و د. عثمان امين، و د. النشار، و غيرهم، و ستصيبه التحولات كما أصابت جيله فيتحول من الوجودية إلى الماركسية ثم يعاني بعد ذلك، كما عانى جيله، من التحولات التي اقصت الماركسية، أو كادت، من الحياة!

ستظل النظرة الفلسفية ميزة في سرد إبراهيم. قد يكون مولعا كالآخرين بالغريب والشاذ في حياة أبطاله، لكنه يضع هذا الغرائبي في إطار يرفعه من مجرد الرغبة في الإدهاش إلى علامة يمكن قراءتها مرة على أنها فانتازيا ومرة أخرى على أنها تراجيديا في تحولات المصير الإنساني.

وإبراهيم لا يقسم جسمه في جسوم كثيرة كما يقول عروة زعيم الصعاليك بل يقسم نفسه في نفوس كثيرة، وهو لا يطل على عالمه كما يفعل الفريد هيتشكوك، بل كما يطل نجيب محفوظ بقناع كمال عبد الجواد. فإبراهيم هو"علي" في رواية المسافات و" إسماعيل" في البلدة الأخرى، و"كروان" في طيور العنبر، و"ناجي" في قناديل البحر.

وكثيرة هي الشخوص المجروحة التي نصادفها في قصصه القصيرة، النفوس المعطوبة والكليلة من جراء عبث مطلق يلهو بمصائرها ولا تعرف لماذا ! ستنمو هذه السمة لتصبح مدار رواية (البلدة الأخرى) ثم تستفحل فلا تخضع الأشخاص فقط بل تخضع أيضا حياة الإسكندرية نفسها لتحولات تبدو عبثاً لا هدف من ورائه.

إن أبطال إبراهيم في رواياته يغادرون واقعيتهم كما يغادر الحلزون قوقعته، يفعلون ذلك بنفس الرهافة والتوجس، وبتلقائية مدهشة، فلا نشعر أبدا أن الكاتب يريد أن

يقول لنا إنهم أكبر مما هم عليه، إنه فقط يدعنا نستنتج ذلك. ستجد "عيد" مجذوبا عاديا لكنه عبر تحولات بطيئة، غير ملحوظة تقريبا، يصبح صاحب "كشف" ويقود مجاذيب الإسكندرية، ليروا الله الذي يتجلى له فوق البحيرة أثناء الغروب. كذلك "الديب" الذي يظل معلقا طوال الوقت بين ظهر القطار والسماء، تمر به البلاد والأزمان، فإذا نزل راح يحكي قصصا خرافية. وحتى "حبشي" الذي لا يعرف من أين جاء ولا ما هو أصله والذي يتزوج من امرأة ظهرت واختفت فجأة، لا يعرف هو أو هي من أين جاءت أيضا، حبشي الذي يعيش على ما يسرقه من السفن ويربي لقطاء المدينة على الا يسرقوا، ألا يمثل حالة فلسفية.

نحن إذن أمام شخصيات تغادر بنعومة واقعيتها الفوتوغرافية لتصبح علامات على عالم كلي، عالم مجروح بشكل ما ويتألم أو يحلم عبر هذه الشخصيات كما تفعل الريح إذا مرت بالبوص المثقوب كالنايات.

ظل إبراهيم وفيا لعالم الملاحم والأساطير اليونانية التي أولع بها، وفيا للأفلام التي شكلت ذائقته البصرية، وعلمته كيف يجعل مشاهده حية ومؤثرة. وظل وفيا أكثر، وهذا هو المهم، للحياة الكثيفة التي عاشها فعلمته كيف يضع الإيقاع في رواياته، حتى أنك ما إن تفتقد شخصاً ما في رواية حتى تجده يطل عليك تماما كما لو كان هناك تخاطر بين القاريء وشخوصه الأثيرة!

لقد توقفت كشاعر عند الإيقاع في أعمال إبراهيم، إيقاع الخفاء والظهور، الحوار والسرد، الفوتوغرافي والفانتازي، الظاهر والباطن، الصعود والسقوط، الحلم والكابوس. وعلى أن أتوقف الآن.

إنه إبراهيم الذي يسرق منا وقتا ليضيف إلى ذاكرتنا أوقاتا، يمحو وقتا ميتا ليطرز قلوبنا بأوقات حية تظل تنبض في مخيلتنا كساعة رقمية في الليل ■

الشمس وحدها تقدر أن تقلد شمساً مثلها

فاطمة ناعوت

"الكلامُ على الكلامِ صعبٌ" يقول أبو حيّان التوحيدىّ، فماذا عن: الكتابةُ على الكتابة؟ أظنُّها مغامرةً. لكنها المغامرةُ النبيلةُ التى تشحذ عقلَ القارئ وتثقفه لتستحثّه على الخوض مع الكاتب فى "لعبة اختراق" عقل المبدع وتشريحه فى محاولة لاستكشاف آلية عمل هذا العقل المختلف لحظة الانصهار والإبداع.

"لعبةُ الاختراق" هو كتاب صادر عن منشورات "أسرة الأدباء والكتّاب" فى البحرين لمؤلفه الكاتب والناقد عبد الله جناحى. وسرعان ما نكتشف أننا بصدد مائدة بحرينية إبداعية يتحلّق حولها أربعةٌ من مبدعى البحرين المعاصرين. وأما بؤرة البحث فهى الكتابةُ، ثم الكتابةُ على الكتابةِ. يقوم المؤلف بفتح كوّة فى جدار قلعة إبداعية بحرينية سامقة قوامها شاعرٌ كبير وساردٌ كبير، لكى يستشرف من خلال تلك الكوّة بعض معالم هذا العالم الثرى الذى صنعه الصديقان بقلميهما. فأما الشاعر فقاسم حداد، وأما الساردُ فأمين صالح. وأما رابعةُ ثلاثتنا هؤلاء فالشاعرة البحرينية فوزية السندى التى كتبت مقدمةً ضافية وعميقة تصدّرت الكتاب، تناهضُ فيها النقد المنهجىّ الأكاديمىّ الصارمَ الذى يُفزِع النصَّ الإبداعى ويفرّغه ويفتت جوانحه بمباضعه الغليظة، وتنتصر، فى المقابل، للنقد المحبِّ الصديق الذى يخترق مكامن النصّ بحنوٍّ ليضىء أركانه ودهاليزه ويفتح من ثم مخيال القارئ ليدخل عالم المبدع آمنًا مطمئنا. تقول

السندى: "فى هذه الكتابة، لا يهمنا مدى اقتراب حبر عبد الله جناحى من شرفة الأسئلة التى انتزعتها إبداعات قاسم حداد من روحه، ولا مدى ممنوحاته الكشفية لرؤى أمين صالح الجديرة فى إبداعها، لكن لنا أن نرافق مجهوداته الحادة لمحاذاة عدة من النصوص، رافقها بوعى مخيلة تتأرجح بين المتحقق والمتخيّل، بين الصادر عن بئر الروح، والكامن فى مأوى الجسد." تصدّرت الغلاف منحوتةٌ شديدة التعبير عن متن الكتاب للفنان الكويتى سامى محمد عنوانها "اختراق". نستشف عبرها أنه ليس كلُّ اختراقٍ آمنًا، فقد يتصدع الرأسُ بحاجز حديدى يشجّه نصفين. وهنا مكمن جميل من مكامن المغامرات النبيلة التى تحفّها المخاطر والمجازفةُ والرهانات التى هى أول أسباب جمالها ونبلها.

يبدأ الكتاب بالإشارة إلى أواصر الصداقة الإنسانية والإبداعية التى تربط بين حدّاد وصالح، وذهب إلى أنه توحّدًا روحيًا جمع بينهما فأثمر زخمًا إبداعيًا لافتا فى هذه الجزيرة الخليجية الهادئة، البحرين. هذا الزخم الإبداعى المُثنى تجلى فى كتاب "الجواشن" الذى كتبه أمين صالح وقاسم حداد معاً عام ١٩٨٩، ليكون المجلى الإبداعى التطبيقىّ لمقترحهما الفنى الذى أعلناه فى بيانهما الأول "موت الكورس" الذى أطلقاه عام ١٩٨٤ محاولَين خلاله أن يحطما الفواصل الشفيفة بين الأجناس الإبداعية طموحًا فى كتابة نصٍ يحمل جينات الشعر والقصة والنثر والمسرح والتشكيل والسينما والنحت والموسيقى فى آن. وهو المطمح الحُلمىّ الذى يرجوه كل مبدع وكل فنان ومن ثم كان انتظار القراء والمبدعين لهذا العمل بمثابة انتظار جودو الذى أتى ولم يتأخر عليهم وكان "الجواشن". يقول عبد الله جناحى إنه حاول أن يفنّد الجواشن ويقرأه منفصلا تبعًا لدرايته بأسلوبية كل قلم من قلمىْ كاتبيْه الشاعر والسارد، فكان كأنما يحاول تنسّم الأكسجين فى معزل عن الهيدروجين ثم اكتشف فى الأخير أن الماء (الأكسجين + الهيدروجين) فى صورته الكاملة هو الأجمل. ويصف الكتاب بقوله: "إنه نصٌ مفتوح احتضن فيه أمينُ قاسمًا وذاب قاسمُ مع أمين، ليتحول أمينُ حدّاداً، ويصبح قاسمُ صالحاً".

ثم يتناول بالتحليل اثنين من كتب أمين صالح هما: "ترنيمة للحجرة الكونية"، و"مدائح" فيقول عن الأول إنه بمثابة نصٍ نثرى يحتضن كثيرا من عناصر الشعر لدرجة أن بعض فقراته موزونة على التفعيلات الخليلية، كما تمتلك الشىء الكثير من الإيقاع الداخلى مثلما فى الشعر الحديث. نصٌ تخلّص من كل المتعارف عليه فى

القصة والرواية والشعر أيضًا، أحداثٌ متفرعة، لكن مفصلة. وعن كتاب "مدائح" يقول: "فى ذلك الديوان/ النص/ النثر الشعرى حقّق أمين صالح حلم النبع، حيث يأتى الكاتب من حدود الأشكال إلى حرية الكتابة نحو لذة المجازفة ونشوة الاكتشاف ليشهر جمالية المغامرة". ثم يحلل تيمتى الحلم والأنثى فى المدائح، محاولا قراءة النص بمستوييه: المُقال الذى يتجلى فى الكلمات المكتوبة ودلالاتها، والمسكوت عنه الصامت، الذى يُقرأ وتُحدس دلالاته فيما بين السطور والتحليل والكشف. علّها تلك الفضاءات البيضاء التى يتركها الكاتبُ للقارئ لكى يتورط فى ملئها من لدنه. ثم يتناول الكتاب ديوان "القيامة" لقاسم حداد، الذى قال حدّاد عنه: "تجربة "القيامة" طرحت على تجربتى أسئلةً لا تحتمل جوابا ولا تريد ذلك، حيث مرايا الأعماق أكثر خطورةً من الكشف عن مرايا الواقع". على أن جناحى سيقدم لنا قراءة فلسفيّة معرفية لغوية جمالية أكثر من كونها قراءة نقدية. وهو لون من القراءات الممتعة والمثرية للقارئ. يستأنس أحيانا بدراسة شوقى بغدادى حول "القيامة"، ويعود بنا إلى العديد من المراجع الفلسفية، منذ طاليس وحتى هيدجر، واللغوية والميثولوجية والأنثروبولوجية والتاريخية، بل وإلى كتابات المتصوفة، ليُرجعَ الدوالَ التى تكررت فى الديوان، (مثل الماء والنار والحُلم والفضّة والعقل والقيامة) إلى أصولها المعرفية والفلسفية الأولى فى محاولة للقبض على مدلولاتها ودلالاتها التى ربما يُلمح إليها الشاعر. يتوسّل الناقد فى رحلته الوعرة تلك عدة مناهج نقدية منها الأسلوبية والتفكيكية والإحصائية أيضا. ثم يحلل ويؤّول، تاريخيًا، ديوان "يمشى مخفوراً بالوعول" لقاسم حداد الذى نعته جناحى بـ"شاعر الماء"، نظرًا لتكرار مفردة الماء ودوالها فى تجربته الشعرية. فحداد فى هذا الديوان يقدّم لنا قراءة "شاعر" لتراث أمته وتاريخها، التى بالضرورة تختلف كليًا عن قراءة المؤرخين والمفكرين والمحللين السياسيين. "يا وجعاً تراثياً" هكذا يقذف قاسم حداد فى وجوهنا بأسئلته الوجودية والشعرية والسياسية حول أخطاء السلف ومواطن وجع التاريخ والتراث الذى أورثنا محننا الراهنة وهزائمنا. مثلما يقول: "وهذا الجُبُّ تاريخٌ، مَدَّ أعضاءَه فى تراب بطىء، مَن برّأ الذئبَ والجُبُّ أشداقٌ مقصلةٌ"، فى إشارة مُرّة، من صاحب "كأس الأسئلة"، إلى خيانة الأشقاء كانهزام تاريخى أول قد يكون سببا فى تغيير وجه التاريخ. "أطويكَ يا ماءَ التراث مجللاً بدم الذبيحة والنذور". ثم يعرّج على "قبر قاسم" و"عزلة الملكات" و"مكابدات" و"جنة الأخطاء" وغيرها من دواوين حداد



التى شكلت علامات فارقة فى واقع الحداثة الشعرية. ويختم كتابه بنصيّن لقاسم: بنات آوى، ثم قصيدة "القلعة": "أبنى القلعةَ وحدى/ أشيدها حجرًا حجرًا/ واستنفرُ الجيوشَ لتبدأ الهجوم/ وحدى/ أستعدى شهية القتال فى شجاعة الأعداء/ أهيئ لهم كى يبدؤوا شحذ الأسلحة/ ويحسنوا التصويب/ أبعث بكتب التحديات/ وإنتظر فى القلعة وحدى/ كل موجة من الهجوم أسميها تفاحة الغواية/ أمقت الأسلحة/ لا احسن الحرب وليس لدى جنود/ ولا سعاة/ وحدى/ كلما ارتدت هجمةٌ/ أسعفتُ الجرحى وبعثتُ بالأسرى/ مدججين بالهدايا/ ارمم سور القلعة/ أدهنها وأزينّها بالقناديل/ كى ترشد الهجومَ التالى/ فربما يحلو لهم ان يبتغوا فى الليل/ فها أنا وحدى/ والقلعةُ صامدة".

كتاب

السيطرة الصامتة

د. هشام قاسم

النمط الديمقراطى الليبرالى الأوربى ليس جنة موعودة يمسك بعصا سحرية قادرة على حل كل مشاكلنا، بل قد ينتج عنه مزيداً منها.

هذا ما تنبهنا إليه «نورينا هيرتس» فى كتابها «السيطرة الصامتة» الذى صدر فى انجلترا فى عام ٢٠٠٢ وقام صدقى خطاب بترجمته فى سلسلة عالم المعرفة مؤخراً والمقصود بالسيطرة الصامتة سيطرة رأسمال على الحياة السياسية الديمقراطية فى عصر العولمة وفى أوربا وأمريكا خاصة، وما ترتب عن ذلك فقدان المواطن الغربى الثقة بها. من هنا جاء العنوان الفرعى للكتاب «الرأسمالية العالمية وموت الديمقراطية».

والكاتبة نورينا هيرتس من المحتجين على نظام العولمة الجديد الذى حاول أن يرسخ أقدامه من خلال اجتماعات منظمة التجارة العالمية وصندوق النقد الدولى وقوبل بمظاهرات ضخمة فى سياتل عام ٢٠٠٠ وجوتنبرج وجنوة عام ٢٠٠١ ثم فى بوينس أيرس بالأرجنتين فى ديسمبر عام ٢٠٠١ حيث تظاهر ما يزيد على مليون شخص أرجنتينى. ونورينا هيرتس من مواليد لندن عام ١٩٦٧ نالت الدكتوراه من جامعة كمبريدج، ثم أصبحت منذ عام ٢٠٠٦ مديرة مشاركة فى كلية جورج لإدارة الأعمال والاقتصاد بتلك الجامعة. لها عدة كتب أخرى تنتقد فيها المجتمع الرأسمالى منها

«تهديد المديونية: كيف تدمر العالم النامى؟، وأنا مدين لك: تهديد الدين لماذا علينا أن نبطله؟».

لكن كيف يتمكن رأسمال المال من توجيه دفة الحكم نحو تحقيق مصالحهم؟ مشكلة الانتخابات فى الدول الغربية أنها تحتاج إلى دعم مالى كبير يمكن المرشحين سواء لانتخابات الرئاسة أو التشريعية من الدعاية لأنفسهم، وفى هذا تذكر نورينا هيرتس: إن قدرة المرشحين على خوض الانتخابات الرئاسية تتوقف على تأمين تمويلهم من الشركات الرأسمالية الكبرى.. فمثلاً فى انتخابات عام ٢٠٠٠ بلغت ميزانية جورج بوش ١٩١ مليون دولار، وميزانية آل جور المرشح الديمقراطى ١٣٣ مليون دولار، وانتخابات مجلس النواب ومجلس الشيوخ فى عام ١٩٩٨ تزيد على بليون دولار أى سبعة أضعاف ما أنفق على انتخابات عام ١٩٧٩، ومعدل تكلفة الفرد لانتخابات مجلس الشيوخ ستة ملايين دولار. لذلك عندما تقدم ماككين فينجولد بمسودة مشروع قانون لإصلاح تمويل الانتخابات لمنع الشركات والنقابات والأفراد من تقديم إسهامات غير محددة من المال اليسير للأحزاب السياسية.. جاءت الاعتراضات من الحزبين الديمقراطى والجمهورى.

كذلك الحال فى بريطانيا فحملة انتخابات عام ١٩٩٧ أغلى الحملات حتى هذا التاريخ حيث أنفق حزب العمال ٢٧ مليون جنيه إسترلينى، وأنفق حزب المحافظين ٢٨ مليون جنيه إسترلينى.

لكن لماذا تحتاج الأحزاب السياسية فى نظام ديمقراطى إلى أن تجمع مثل ذلك المال الوفير؟.. تجيب نورينا هيرتس: لأن فى حال غياب الفروق الأيديولوجية الواضحة بين الأحزاب.. فإنها تستطيع أن تتميز بشكل فعال فى ضوء استراتيجية التسويق والإنفاق. فبالأمس كانت زيارة كل بيت فى الحملة الانتخابية وتوزيع منشورات وعقد الاجتماعات المحلية كانت السياسة المتبعة حتى عهد قريب لذلك، كانت التكلفة أقل والمعدات أبسط ، ومقدار ما يبذل من جهد أكبر. أما سياسة اليوم تحاكى أساليب الشركات فهى مكلفة أشبه بالعمل التجارى وتحتاج إلى كميات كبيرة من المال، وتعتمد إلى حد كبير فى الاتصال الجماهيرى على الإعلان فى الصحف والمجلات والكوابل الأرضية وتليفزيونات الأقمار الصناعية التجارية ومواقع الإنترنت.

يأتى هذا الدعم المالى من الأثرياء والشركات أساساً وتدلل على ذلك بالدعاية

لانتخابات الكونجرس فى ١٩٩٥ - ١٩٩٦ فإن ربع فى المائة من السكان أعطى مائتى دولار أو أكثر، ولم يعط أحد من ٩٦٪ من الشعب الأمريكى شيئاً لأى سياسى أو حزب على المستوى الفيدرالى . وعلى الجانب الآخر أعطت أكبر ٥٠٠ شركة فى أمريكا ما يزيد على ٢٦٠ مليون دولار للديمقراطيين والجمهوريين ما بين العام ١٩٨٧ والعام ١٩٩٦.

بالطبع هذا الدعم لن يكون لوجه الله فكما تقول نورينا فالشركات لا تعطى شيئاً فى مقابل لا شىء .. فالمال يشترى الفعل والنفوذ. ودللت على ذلك ببعض الأمثلة:

- تدعيم السيد برادلى عضو الكونجرس الأمريكى٤٥ مشروع قانون تهدف إلى خفض رسوم الجمارك وتقديم مساعدات لشركات كانت تنتج مواد كيماوية سامة جداً هذه الشركات كانت أكبر داعم لحملته الانتخابية عام ١٩٨٨.

- أسهمت شركات التبغ من عام ١٩٨٧ حتى عام ١٩٩٦ بأكثر من ٣٠ مليوناً فى دعم أعضاء الكونجرس . فى المقابل كان إضافة جملة واحدة إلى قانون الضرائب الكبير من نائبى الجمهوريين «ترنت» و«نويت» تكفى لإعطاء ٥٠ بليوناً من الدولارات قروض ضرائب لها.

- عندما لم ينضم بيل جيتس إلى الحملة الانتخابية فى وقت مبكر كان تركيز الحكومة الأمريكية على احتكار ما يكروسوفت شديداً. ثم لما زاد إسهامها فى الحملات إلى ثلاثة أضعاف .. كما تضاعفت مصروفاتها لكسب أعضاء الهيئة التشريعية تخلت وزارة العدل عن سياسة تحطيم عملاق الحاسوب.

- إدخال بعض رجال الشركات إلى عالم السياسة فديك تشينى نائب الرئيس الأمريكى انتزع من شركة الخدمات النفطية هاليبرتون، وكارل روف وهو كبير استراتيجى فى إدارة بوش كان كبير الاستراتيجيين فى شركة فيليب موريس من عام ١٩٩١ - ١٩٩٦ أما وزير الخزانة بول أونيل فقد جاء من كبرى شركات صناعة الألومونيوم آلكوا.

- رفض جون ميجور عندما كان وزير مالية مشروع قانون يطالب الأجانب الذين يعملون فى التجارة فى بريطانيا بأن يدفعوا ضريبة على كسبهم.. لأن عددا ممن سيشملهم القانون كانوا أسخياء لحزب المحافظين.

- تسلم حزب العمال قبل انتخابات ١٩٩٨ مليون جنيه من بيرنى إيلكستون الرجل الذى يقف وراء سباق السيارات المسمى النموذج الأول. فتخلى الحزب عن معارضته لرعاية شركات التبغ لذلك السباق.

تعلق نورينا على ذلك : إنه عـالم يركع فيـه ممثلونا المنتـخبـون أمـام رجـال المال والأعمال، ولا يتورعون الرقص لهم، على الرغم من أننا رأينا إمارات تآكل الضرائب فى خدماتنا المتهالكة.

من هنا جاء تعليق الرئيس الأمريكى راذفورد هايس عام ١٨٧٦ على حكومته : إنها حكومة شركات تديرها شركات من أجل الشركات، وقد وصف ماثيو جوريفسون فى دراسته عن بواكير الرأسمالية الأمريكية فى كتابه المسمى «البارونات اللصوص» لقد حولت صالات التشريع إلى سوق تتم فيه المساومة على ثمن الأصوات. والقوانين تباع وتشترى.

قد انعكس هذا الوضع من تسلل نفوذ أصحاب المصالح على المجالس التشريعية ورجال الحكم على حياة المواطن البسيط.. وعلى حجم الفجوة ما بين الأغنياء والفقراء وقد دللت نورينا هيرتس على ذلك بالأرقام الآتية:

- فى أمريكا ذهبت ٩٧٪ من الزيادة فى الدخل القومى ذهبت لأغنى ٢٠٪ من العائلات خلال العشرين سنة الأخيرة. هناك نحو ٣٦ مليون أمريكى يعيشون حياة فقيرة. يمتلك أغنى ١٪، ٤٠٪ من ثورة البلاد مقارنة بـ ١٣٪ منذ نحو ٢٥ عاما. بينما بلغ معدل البطالة ٤,٥٪، ولا يستفيد من البطالة اليوم سوى ٣٩٪ من العاطلين بينما كانت النسبة فى عام ١٩٨٦ ٧٠٪.

- فى انجلترا عندما تسلمت مارجريت زعيمة المحافظين عام ١٩٧٩ كان أغنى ٢٠٪ يتمتعون بنحو ٤٣٪ من إجمالى الناتج المحلى، وفى عام ١٩٩٦ صار ٣٪ يحوزون على ٥٠٪.

- فى أمريكا انخفض راتب الطالب الذى يحمل الثانوية العامة وينخرط فى العمل لأول مرة بـ ٢٨٪ عن عام ١٩٧٣ مقيمة بقيمة الدولار الشرائية، وكذلك أجور وعلاوات العمال غير المهرة.

- تقوم الشركات الرأسمالية بتخفيض العمالة لديها.. فمثلاً سرحت شركة IBM بين عامى ١٩٩١، ١٩٩٥ نحو ١٢٢ ألفاً من موظفيها وخفضت مجموع الأجور بمعدل الثلث وذلك فى محاولة منها لزيادة أرباحها ورفع أسعار أسهمها.

- يوجد ٤٥ مليون أمريكى لا يتمتعون بالتأمين الصحى، و٢٥٪ من المصابين بأمراض مزمنة لا يحصلون على تغطية شاملة لأمراضهم المزمنة.

- التغاضى عن تحصيل الضرائب المستحقة على الشركات الرأسمالية. وتضرب نورينا أمثلة على ذلك. شركة روبرت ميرودك للأخبار تدفع ضرائب بمقدار ٦٪ عبر العالم كله لكنها ظلت حتى عام ١٩٩٨ لا تدفع شيئاً فى المملكة المتحدة برغم أنها حققت أرباحاً منذ عام ١٩٨٧ تقدر بـ ١,٤ بليون جنيه استرليني.

وفى ألمانيا هبطت ضرائب الشركات بمعدل ٥٠٪ برغم أن أرباحها بمعدل ٩٠٪. والشركات التى تتبع الولايات المتحدة فى البلاد النامية هبطت الضرائب عليها من ٥٤٪ إلى ٢٨٪ ما بين عامى ١٩٨٣و١٩٩٦.

- أصبحت الاستهلاكية تحل محل المواطنة فى زمن عدم الاكتراث السياسى والتحلل من الارتباط.

سيطرة رجال الأعمال على رجال السياسة، وتدهور الرفاهية الاقتصادية للمواطنين وازدياد معدل المظاهر القلقة لذلك والتى تهدد شرعية النظام الديمقراطى:

- انخفاض نسبة المشاركين فى الانتخابات العامة. فعلى سبيل المثال كانت نسبة المقترعين فى الانتخابات التى جرت فى بريطانيا لعام ٢٠٠١. ٤٩٪ وهى أدنى نسبة إقبال منذ الحرب العالمية الثانية. وفى امريكا فإن نسبة الاقتراع ما بين عامى ١٩٩٦ و٢٠٠٢ لم تشهد لها مثيلاً فى الانخفاض خلال قرنين.

- عدد أعضاء الأحزاب السياسية فى ألمانيا وفرنسا والولايات المتحدة أقل منه الآن من أى وقت مضى منذ الحرب العالمية الثانية. فعلى سبيل المثال كان حزب العمال يضم فى الخمسينيات نحو مليون عضو.. هبط العدد الآن إلى نحو ٣٦٠ الف عضو. وهبط عدد أعضاء حزب المحافظين فى نفس الفترة من ٢,٨ مليون إلى ما يقل عن نصف مليون عضو.

- فقدان الثقة فى نواب البرلمان.. ففى استطلاع للرأى بالمملكة المتحدة هبطت نسبة من لهم ثقة فى البرلمان من ٥٤٪ عام ١٩٨٣ إلى ١٠٪ عام ١٩٩٦. وفى الولايات المتحدة أظهر استطلاع أن ١٤٪ فقط اعتبروا معايير الأمانة والأخلاقية متوفرة بدرجة عالية عند أعضاء الكونجرس.

تنبع أهمية كتاب «السيطرة الصامتة» لنورينا هيرتس أنه ينبهنا إلى المشاكل التى تواجه النظم الديمقراطية الليبرالية.. حتى لا يتحول الحلم عندنا بها عند تطبيقها إلى كابوس لا يحصل المواطن فيه على حقوقه بل ويتم انتهاكها.. طالما أن الأثرياء



يبسطون نفوذهم عليها.. من هنا تنبع أهمية تقليم النفوذ الرأسمالى على الحياة السياسية حتى يجنى المواطن العادى ثمار نظامه الديمقراطى، وحتى لا يفقد الثقة فيه، ويتحول إلى عمل عدائى ضده فى تنظيمات مسلحة إرهابية.

إذا كان هو هذا الحال فى الدول الغربية التى فى النهاية تجرى انتخابات نظيفة.. فكيف يكون الحال عندنا الذى تجتمع فيه الآفتان سيطرة رأسمال على الحكم بل وتسلل رموز كبيرة منهم إليه، ثم الانتخابات عندنا بعيدة كل البعد عن النظافة والنزاهة بالمرة؟!

وهج الدلالات
فى ديوان «ظل العائلة»
للشاعر عيد عبد الحليم

إيهاب خليفة

فى ديوانه الثانى «ظل العائلة» يعتمد الشاعر عيد عبد الحليم لغة شديدة الاختزال والتكثيف تقترب من المعاش اليومى حينا، وتلامس فضاء الأخيلة الجديدة حينا آخر. تمزج واقع الذات المشوه بأحلامها المبددة، والذات فى ظل العائلة ليست تلك الذات المندهشة التى تحيا حالة من التداعى الرومانسي، التى تحيا حالة لتتحسر، بل هى ذات نصف المشهد بحياد شديد، تتعامل مع جراحها بمبضع جراح خبير لا تفزعه صورة الفقر ولا الدم الحي.

ولنبدأ من العنوان «ظل العائلة» حيث يجرنا هذا العنوان لدلالتين الأولى هى صورة الظل المجردة الخالية من التفاصيل التى تشى بإطار عام فقط علاوة على حسن المهانة المرتبط بالظل حيث يولد غالب على الجدران او يلتصق بالأرض فتدوسه الكائنات وهو ظل أحيانا يستطيل وأحيانا يقصر فلا يوازى أبدا صاحبه إلا فى أوقات محدودة مما يشى بأن الذات تقع بين ازمتين ازمة التضاؤل وأزمة التطاول إذن لا يوجد تقدير موضوعى للأمور ولا حياد. أما الدلالة الثانية فهى الناتجة من مقلوب العنوان (العائلة ظل) والمساواة التامة بينهما فى صورة جزئية هى التشبيه مما يدل على أن المشبه قد انحت صورته تماما وصار يحيا فى ظلامية مما يؤكد انسحاب حياة الذات الشاعرة أى الظل التام وانسحاب الرؤية الساطعة إلى الفراغ.

(بعد الحرب سنفكر فى أسمائنا التى لم تعد تنتمى لملابسنا الجديدة، سوف نلقى بها فى يد عابر عجوز).

تتميز نصوص ظل العائلة كما أسلفت بقدرة هائلة على التكثيف الدلالى شملت كل نصوص المجموعة، يقول الشاعر فى قصيدته نسيان متكرر

لم يكن الوقت مناسبا

حين أشعلوا الحرائق

بجوار النافذة

نجد هنا عنواناً مناقضا للفحوى الحقيقية التى ينطوى عليها النص، إذ أن إشعال الحرائق جوار النافذة ليس منطقيا، ولكن لماذا يحدث؟!

إنه فعل مقصود تماما لتشويش الرؤية وإزاحة حالة التوحد بين الذات والعالم وإغلاق تلك الرؤية المنفتحة، مما يؤدى إلى عزل الحواس حاسة بعد أخرى، وإحداث قطعية مع العالم، تأتى الحرائق بقصدية لهدر المدركات وإدخال الذات فى غبار لا تنتهى حتى إذا ما تحركت الذات من أجل التنوير تلقى الرفض والإزدراء.

(أزاحوا الغبار ثم بكوا حين شاهدوا الملائكة لبصق فى وجوههم)

فهنا أية محاولة لفتح مجال الرؤية تجرم من الغير، لماذا لأن الغبار صار مضاداً، فأية محاولة لكسره تدخل دائرة مفرغة.

وبالعودة لاستهلاك الديوان نجد ذلك التكثيف جليا فى سيناريو قديم

الجثة هامدة

فى أول المنزل

فمن الذى أشعل النسيان

على الحوائط

وترك دمي

بين أصابع الفائلة

هنا نجد جثة ممدودة دمها متروك (لم يزل بعد) بين أصابع العائلة (العائلة التى هى رمز مفتوح على حقول دلالية كثيرة، تشمل الأسرة، القبيلة/ حتى تطال الإنسانية كلها) فالعائلة هنا مناهضة للذات الشاعرة تقف ضدها وتضعها فى قهر السلطة، ولعلى هنا أجد من الضرورى أن هذه الجنة التى هى نفسها الذات الشاعرة الغارقة فى دمها هى التى بدأت حالة التذكر رغم كونها جثة ميتة، وكأن

الشاعر بدأ الديوان من لحظته الختامية ثم بدأ باسترجاع ما تم، حتى أن النسيان قد أشعل هو الآخر بفعل تلقائى وكأن القصة يجب أن تحكى وتسمع ، اشتعل النسيان لتولد الذاكرة المتشظية، فى كل اتجاه. وعلى مدار الديوان نجد أن الزمن كله حاضر بلا انقطاع.

ومما عضد التكثيف الدلالى فى الديوان أدوات أخرى منها:-

١) قوة المفارقة التى حفل بها كل مقطع فى قصائد الديوان

فمثلا فى قصيدة الجنة

أشياء تبدو سيئة للمرة الأولي

لكن حين تدفق فيها جيدا

نتركها وراء ظهرها

غيرنا ومين

هنا تفاجئنا النهاية (غير نادمين) التى تدعم اختبار الواقع - الذى فيه فعل الواقع القابل للتغيير، على الجنة التى تكون فيها الذات محضر متمم للمشهد.

٢) استخدام الكلمات كرموز بعيدا عن معناها المعجمى الضيق مثل كلمة أشجار فى

(ومضوا حاملين أشجارا كثيرة

تحمل رائحة أخرى)

٣) اعتماد المجاز بكل تقنياته وسيلة محمولات دلالية متجاوزة.

(كمهرج سيرسم المدينة فوق كفه

ثم ينام بين خطوط الأصابع)

فالذات هنا تحمل الأسى وتسعد الآخرين، ترزخ فى تعاستها لتبهج المجموع، تبنى مدنا فاضلات وتبيت هى فى الوهم والفراغ.

٤) استخدام الضمير الجمعى (واو الجماعة تحديدا) غير دال على جماعة بعينهم ونزع الخصوصية منها كدليل على نسف الصورة المتوهمة للذات القومية.

وأخيرا إن ظل العائلة ديوان قد مر مرور الكرام فى وقت يحتفى فيه الحياة الثقافية بدواوين أقل قيمة وقدرا، ولكن لا دهشة فنحن فى عصر الشللية، الشللية التى تصوغ الذائقة العامة للنخبة المثقفة.

قصة

أمـــــــــى

على عوض الله كرار

خط من صوف فى حركة دوديّة رتيبة يتجه لأعلى، وأمى على أريكتها متربعة، ومن تحت إبطيها تمتد لمعتان معدنيتان يشتد ضوؤهما فى نقطتين متوازيتين ومتغيرتيّن وفق تمايلات ذراعى أمى وكرة الصوف لا تستقر على حال فوق بساط الارضية،ومستطيل النسيج الصوفى تحت يديها لم يفصح بعد عن كونه ظهراً أم صدراً، على الأقل بالنسبة لى لا يفصح خط الصوف عن موضعه المنسوج إلا مع حنية مفصل الكتف. فتحة الصدر قد تتوازى مع الحنيتين وقد تسبقها بقليل. الظهر يستمر فى الطلوع دون أدنى تغيّر حتى حردة الإبط. ما بين يديها الآن هو ظهرى. لو كان الصدر لعرفته. فالصدر يتفتّح مبكراً. لكن لم تؤجله أمى الى ما بعد الانتهاء من ظهرى؟. لأن الظهر مجرد نسق من غرز تعيد نفسها بنفسها، سطراً من بعد سطر؟. . وكل ما تمنحه له أمى من فضل هو أنه افتتاحيتها السهلة البسيطة. أما الصدر: الواجهة: المرآة، فالأفكار ما بين شقيقتى وبينى، ثم بيننا وبين أمى، تتخابط من حوله، بدءا من اختيار نوع الغرزة وتقلّباتها، وكيفية تبادل وتراتب الألوان، الى: من أين تبدأ فتحة الصدر؟، و.. أمضموم طرفاه قليلاً أم مفتوح بشكل يبيّن القميص؟. المفتوح أكثر من اللازم قد ينبئ عن قلة دخلنا. لكنه ايضا قد ينبئ عن صباى المتفتّون. كما أن خالى

أهدانى قميصاً جديداً وأريد لأقرانى فى المدرسة والشارع أن يروه. سأذهب به مبكراً إلى المدرسة وألعب الكرة الشراب مع تلاميذها المبكرين فى الحضور. سأنزل معهم أسفلت الشارع المواجه لسور المدرسة بعد أن أرمى حقيبتى جانبا وأمسك (بلوفرى) من جانبيه : من طرفه المطاط، وأرفعه مقلوبا من على جسمى وألقيه_ وعينى على الكرة - فوق الحقيبة. سأحاول أن ألقيه بطريقة تجعله حين يسقط على الحقيبة يسقط مفروداً. تخانة الحقيبة ستبرز مهارة أمى وافتتان الصبيان فيما أنا أحرز الأهداف هدفا تلو هدف. هكذا سأفعل أيضا يوم الجمعة تحت أبصار الشرفات سأكون مضطراً للعب وهو حول جذعى. وسأكون مضطراً أيضا- كلما مسّنى خصم - أن أقع على ظهرى. وسأكون مضطراً الى الاحتجاج:" هذه ليست طريقة تلعبون بها". بينما يداى - وأنا أنهض - تفكان البلوفر من حول جذعى وتطرقعه فى الهواء فيما عيناى تتجوّلان على عيون الشرفات لأرى مهارة أمى فى حقد النساء..لكن متى تبدأ فى عمل الصدر؟ . .ومتى ينتهى؟..

كان بين يديها يتفتّح وأنا لم أكن أدرى أننى ارتفعت فى العامين الفائتين بضعة سنتيمترات جعلتها تفك البلوفر القديم وتعيد شغله من جديد بعد شراء شلة صوف إضافية، من لون مغاير، وغالبا ما ستصنع بخيوطه إفريز الصدر . أستك الخصر زيّنته ببضعة سطور شكّلت شريطين متوازيين. كان الظهر منتهيا وطولى المفاجىء جعلنى أحسب تأخر ظهور فتحة الصدر راجعاً إلى أن ما بين يديها هو الظهر..خلتها - للحظات انتثرت خلال بضعة أيام - أنها ستجعل من ظهرى منافساً قوياً لصدرى الذى يتفتّح الآن وينفتح للقميص الذى سينكتم صدره تحت شرفة غير تقليدية تطل منها ياقة مدببة الطرفين كسهمين طويلين يشيران على الخيط الذى كان متكّوراً على نفسه وبات وأصبح ،أقصد سيبيت ويصبح متكّوراً على جسمى راسماً لنفسه طولاً وعرضاً وحجماً وهيئة..لكن الياقة عريضة وطرفاها يمتدان لأسفل ويغطيان إفريز صدر البلوفر. سيبدو البلوفر هو عينه بلوفر الأعوام الثلاثة الفوائت. لكن الغرزة مختلفة وسيظن أصحابى أننى أميل إلى لون محدد بالذات، هو الأنسب للون بشرتى. لكن الإفريز سينطّق صدرى والبلوفر وهيئتى بالكامل، و سيأكل منها حتة. لأحبسن حواف الياقة تحت الإفريز. من حين لحين سأطلق سراحها، لا بأس.. يكفى ظهور ثنية الياقة.. ثنية ياقات القمصان فضّاحة، والحمد لله قميصى جديد، أهداه لى خالى من

شهر مضى، من شهرين، بين شهر وشهرين، المهم أنا لم ألبسه. الصيف كان انتهى، وقمصانى النصف نصف اختبأت تحت سويتر (ووتر بروف) بسوستة.. قررت ارتداءه مع البلوفر.. صعب علىّ تركه فى درج الدولاب حتى الصيف القادم. قررت مرة أخرى وبصوت عال اندهشت له أختى واستغربته أمى: " سأرتديه مع البلوفر ". ما هو؟. قلت لهما: " القميص الجديد الذى أهدانيه خالى ". وقلت لنفسى: " ارتداؤه مع البلوفر الذى سيصنع لى طولاً وعرضاً وحجماً وهيئة حكاية ما بعدها حكاية ".لكن حكاية العام الفائت وبلوفره لم يعملا حساباً لزحام البرد المندفع نحوى والمهاجم أعلى منتصف الصدر حتى الزور و أرقدنى مرتين تحت الأغطية مكشوشا فى السرير، كل مرة بنحو أسبوع. وضاعت حلاوة الشتاء..شتاء العام الماضى، على الرغم من ارتدائى البلوفر فوق جاكيت البيجامة الكستور وتحت البطانية الصوف واللحاف القطن. لذا، وعلى آخر لحظة قررت أمى شتاء هذا العام غلق صدرى، فأرسلت أختى لشراء شلّة ثانية من لون البلوفر، ونبّهتها، قطعت قطعة من خيط الصوف القديم ونبهتها أن لا تأخذ ما يعطيها الرجل وتمشى، عليها أن تستدير وترفع يديها لنور ربنا وتقارن ما بين لون قطعة الخيط الممسوكة بيد ولون الشلة المشتراه والممسوكة باليد الأخرى فإن.. " فإن شككت اسلتى دون أن يلحظ الرجل خيطاً من الشلة وأخرجيه قليلاً لنور ربنا وقارنيه بما فى يدك الأخرى"..دون معلم وكتاب مدرسى وآخر خارجى أمى تفهم فى باب الضوء من كتاب الفيزيقا المقرر علىّ وأخشاه خشيتى من الكيمياء والميكانيكا والفراغية ورسومات الأحياء، وصارت ايضا تفهم فى الاقتصاد: ما سوف تدفعه للطبيب والصيدلى تدفع لى هى عشرة وتشترى شلة أخرى إضافية وتقفل صدرى إلا قليلا. ولأننى اخشى من قلقها علىّ وعليها فرحْت وأعلنت سرورى حين انتهى البلوفر ولبسته، أول ما لبسته - قدّامها، ودوّرتنى وأوقفتنى لحظات، ثم دارت هى وجابهتنى ورفعْت كل ذراع من ذراعىّ على حدة، وبرفق جذبت مكان التقاء حردة الكم بحردة الصدر عند الإبط ثم انزلت الذراع وأعلت من ابتسامتها، بينما انا مع نفسى أقرر: حينما انعطف - صباح اليوم التالى - نحو الشارع الجانبى، ذاهباً الى المدرسة، أن اخلعه بكل حبور، وأضعه بكل اناقة على النصف السفلى من ساعدى الأيسر الملتصق بأسفل صدرى وأكمل سيرى والطريق يمر من تحتى وقدماى تتبادلان مطرحهما ×

قصة

قـــصــــتـــان

طارق المهدوى

١ - الرحلة

قـالهـا راكب الدراجـة البـخارية عند مـدخل حى «عرب الجسـر» الواقع شـرق القـاهرة وانطلق إلى حـال سبيله، قـال إن قطاراً حـربياً قـادمـاً من السـويس قد اصـطدم بحـافلة رحـلات مـدرسيـة خلال عبورهـا مـزلقـان جسـر السـويس المجاور للحى، ولما كـانت مـدرسة عـرب الجسـر الابتـدائيـة قـد خـرجت صبـاح اليوم فى رحلة إلى الإسمـاعيلية فقـد هرع الجميع إلى المزلقان.

وسـط الظلام الدامـس وصلوا إلى مـا كـانت قـبل ذلك حـافلة وأصـبحت الآن كـتلة متعرجة من القطع الحديدية التى اخترقت بعضها بعضاً والتف بعضها حول بعض، اطرقـوا السـمع بهـدف التـقاط الصـرخات والأنات للمسـارعة نحو مـصدر الصوت غير عـابئين بما تدوسه أقدامـهم من جثث وقطع آدمية متناثرة فالحى أبقى من الميت. راح كل واحد منهم يحـمل طفلاً مـصاباً بين يديه ويهرع به إلى شـارع جسـر السويس عساه يجد هناك من يقله إلى المستشفى . ولما كانت الدموع تغطى عيونهم والدماء تغطى وجوه الأطفال المصابين لتخفى ملامحهم فقد ظن كل واحد منهم انه يحمل ولده.

الحاج محمد كان يحمل أحدهم ويخاطبه بقوله:

«لازم تقوم وتعيش يا أحمد يا ولدى علشان ترعى حتة الأرض اللى باقية لنا، وتطلع محامى يا ولدى علشان تعرف تاخد حق أبوك فى قضية التعويض عن بقية الأرض اللى أخذتها الحكومة واللى بنجرى وراها فى المحاكم من زمن».

كذلك المقدس مرقص فقد كان يقول للطفل الذى يحمله بين يديه:

«إجمد أمال يا مينا يا بنى وشد حيلك، دى العيلة كلها حاطة أملها فى إنك راح تبقى الدكتور مينا اللى حايعالج العيانين بتوعها، ما هو على إيدك يا بنى موش عارفين نعالج أمك فى المستشفيات الحكومية».

أما الأستاذ نبيل فكان يقول للطفل الذى يحمله:

«شدة وتزول يا بطل وموش هاتضيع منى أبداً يا رفعت لأنك إنت اللى حاتكمل المشوار ويمكن تعرف يا بطل تعمل اللى أنا ماقدرتش عليه وتعدل المايل فى البلاد وبين العباد».

بمجرد أن انتهت عملية فرز ركام الموت المحيط بالمزلقان ولملمة الأجساد القليلة النابضة بالحياة لإرسالها إلى المستشفى تحرك أهالى عرب الجسر كل واحد بطريقته إلى هناك، حيث كانت الإدارة قد فرضت حالة الطوارئ ولم تسمح للأهالى سوى بدخول بنك الدم الذى منحوه كميات وفيرة من دمائهم لإنقاذ المصابين من الأبناء.

مع تباشير الفجر الأولى كان كل واحد منهم قد اتكأ على الآخر آخذين فى التطلع نحو السماء وهم يدعون لانكشاف الغمة ، عندما وصلت إلى محل جلوسهم فوق الرصيف المواجه للمستشفى إحدى سيدات الحى، لتعلن أن جميع أطفال مدرسة عرب الجسر الابتدائية قد عادوا إلى منازلهم سالمين، بعد أن وصلت الحافلة من الإسماعيلية عبر أحد الطرق الالتفافية ودون أن تمر أصلاً على مزلقان جسر السويس. فى الوقت ذاته كان مركز شرطة «ساقلتة» بمحافظة سوهاج يتلقى بلاغات من الأهالى حول عدم عودة أبنائهم الذى سبق أن خرجوا فى رحلة مدرسية لزيارة الإسماعيلية، وتدريجياً بدأ أهالى «ساقلتة» يتجمعون معاً حاملين أسلحتهم، وعيونهم تشى بما فى دواخلهم العميقة من ذعر كابوسى.

٢ - الغائب

زارها خراط البنات ليدفع بجسدها إلى مرحلة الأنوثة فيما بقيت أفكارها ومشاعرها على وضعها الطفولى لعدة أشهر قبل أن تبدأ الحركة فى محاولة للحاق بالجسد، وذات يوم خلال هذه الأشهر كانت فى طريق عودتها المعتاد من المدرسة عندما حاصرها ثلاثة أولاد غرباء فى أحد الممرات الضيقة آخذين فى مد أياديهم للإمساك بمختلف أجزاء جسدها الملفوف، وإزاء عجزها عن صدهم كاد الأمر ان يتطور لولا ظهور هذا الصبى، الذى سرعان ما أنزل حقيبته المدرسية عن يده وراح يشتبك مع الأولاد مستخدماً فنون القتال اليابانية حتى ابتعدوا عنها وهم يتوعدونه ويسبونه باسمه، مما جعلها تعلم أنه ،كمال، بعد أن كانت خلال الاشتباك قد لاحظت اسم مدرسته على شارة قميصه. وفى اليوم التالى ذهبت إلى مدرسته المجاورة وسألت الحراس عنه فأفادها أحدهم أن اسمه ،كمال السيد عبد الرحمن دياب، وأنه بالصف الثالث الإعدادى اى يكبرها بعامين.

تعمدت السير ذهاباً وإياباً فى الطريق المؤدى من وإلى مدرسته خلال مواعيد دخول وخروج التلاميذ فلم تلتق به، وقفت عدة مرات على باب مدرسته الأمامى كما وقفت مرات أخرى على بابها الخلفى لتشاهده أثناء الدخول او الخروج دون جدوى، فسألت الحارس الذى أفادها غير عابئ بأنه قد انتقل إلى مدرسة أخرى مما يعنى رحيله مع أسرته خارج الحى الأمر الذى جعلها تبتلع شريطى أسبرين فى محاولة للانتحار لم تسفر سوى عن غسيل معدة فى قسم السموم بالمستشفى وعلقة ساخنة من ابيها.

ظل ،كمال السيد عبد الرحمن دياب، هو فتى أحلامها الغائب الذى تنتظر عودته ليلتقطها ويضعها فوق جواده الأبيض وينطلق بها إلى حيث يريد، حتى أنها كانت كلما تعثرت فى أحد دروب الحياة المتعرجة أو تعرضت لمأزق من اى نوع تطلعت نحو السماء داعية كى يظهر فتاها الغائب لانتشالها ومساعدتها، بما فى ذلك يوم خروجها لأول مرة بسيارتها الصغيرة التى كان أبوها قد اشتراها لها لتوه بمناسبة تخرجها من الجامعة، حيث صدمتها من الخلف سيارة مسرعة بينما كانت هى قد توقفت فى إحدى إشارات المرور فسألت نفسها راجية ،هل يمكن أن يظهر كمال الآن؟، لاسيما وقد خرج من السيارة الأخرى شاب رقيع يمسك بإحدى يديه الكتف العارى لفتاة ساقطة وبيده الأخرى علبة بيرة من النوع المستورد، وأخذ يسبها مستخدماً أسوأ ما فى قاموس



الشتائم المتعلقة بها وبأبيها وبجميع الأحياء والأموات من أهلها، ولما حاولت أن تشرح له أنه المخطئ لأنه يقود سيارته وهو فى حالة سكر امتدت يده ليصفعها على وجهها، وكانت الإشارة الخضراء قد أعلنت فتح الطريق فجذبته الفتاة الساقطة داخل السيارة وهى تقول له «يا اللا بينا بقى يا كوكو، موش عاوزين نضيع شوية الدماغ اللى إحنا عاملينهم مع الناس البيئة دى».

كم تمنت ظهور الغائب كمال ولو لهذه المرة فقط، إلا أنها اضطرت فى نهاية الأمر تحت وطأة ما واجهته من إهانة إلى الذهاب لقسم الشرطة حيث حررت محضر إتلاف وضرب وسب ضد المدعو «كوكو» الذى سرعان ما تم القبض عليه استرشاداً برقم السيارة وبياناتها وشهادة الشهود حيث تم استيفاء المحضر ورفعه إلى النيابة ومنها إلى المحكمة. التى قضت بحبس المتهم سنة كاملة مع الشغل والغرامة وتعويض المجنى عليها مالياً عما ألحقه بسيارتها من إتلاف، وعما ألحقه بشخصها من أذى.

ذهبت لاستلام قيمة التعويض وهى تقسم أنها تكبدت أضعافها لإصلاح السيارة، فأفادها الموظف المسئول بضرورة توقيعها على قسيمة التوريدات التى كانت تتضمن رقم القضية ووصفها ونوع الحكم الصادر فيها واسم المحكوم عليه والذى كان واضحاً جلياً على صدر الورقة «كمال السيد عبد الرحمن دياب».

كانت المدد الزمنية المسموح بها قضائياً للتنازل والتصالح والاستئناف قد انقضت وبدأ المحكوم عليه ينفذ بالفعل مدة عقوبته فى أحد السجون العمومية، فلم تجد ما تفعله سوى أن تبتلع مجدداً شريطى أسبرين فى محاولة للانتحار لم تسفر سوى عن غسيل معدة فى قسم السموم بالمستشفى وعلقة ساخنة أخرى من أبيها.

قصة

ثلاث مــرايا لامــرأة واحــدة

السيد السعداوي

مرآة (١)

ساكنة دائماً فى حقيبة يدها بجوار المشط وأحمر الشفاه وقارورة العطر الفواح.. ترى فيها كيف تنضج الثمار..طعم حلاوتها .. ومكامن زهور الاشتهاء.

يطيب لها أن تعبث بشعرها الأسود الفاحم الجميل.. تعاود النظر بزهو وابتسام إلى خدها الأبيض المشرب بالحمره كزهرة التفاح.

تترك يديها الصغيرتين تنسلان بخفة إلى صدرها النافر تعبث بغزالين صغيرين .. فينفران .. يجريان .. يلهثان فيغشى الوجه فيض من الأحمرار والخجل.

مرآة (٢)

فى زمن الحصاد الجميل .. لما تنضج الثمار .. وتقطف الزهور .. ويهبط الحبيب من عليائه .. تمتلئ الحياة بالدفء والشبع .. يولد الأطفال ..يكبر الأطفال عاودتها الهواية القديمة .. بطرف عينها نظرت إلى المرآة .. نصل سكين حاد.. اخترق القلب .. عندما لمحت بعضا من تجاعيد الوجه وترهل النهدين.



مرآة (٣)

حينما يوغل الزمن .. وتسرف الأيام فى مرارتها .. يزداد الوجع .. يصير الوجه غير الوجه .. الجسد غير الجسد.. أنفاس تنقطع .. صوت سعال مكتوم .. مختنق.. عيون يطيب لها الإيغال فى الماضى البعيد تفتش فى حدائقه .. فتنقى أجمل الوردات.. تشم رائحتها وفوح بقها بمتعة فريدة .. فتكسو الوجه ابتسامة واهنة.. قبل أن يعاود السعال نوبته..

حينما رأت المرآة على الطاولة.. أدارت ظهرها غير أنها تركت الدموع تنساب من عينها حتى ذاقت ملوحتها.

شعر

صاحبى القديم

عبده المصرى

إلى صديق العمر: نحاس راضى

بتحتاج ساعات لما تقعد لوحدك
تفكر براحتك
سنين العذاب اللى فاتت
سنين العذاب اللى جايه
دماك اللى سالت
دماك اللى سايله
ونجمة ف بحر السما لسه واقفة
وكام نجمه سارية
وصوت الغنا لما يسحب ف روحك
يجدد جروحك
وتنزل دموعك على الخد جارية

•••

صاحبى القديم راح فين؟
سافر لشرق الشمس.. غرب
الليل
يفرق الأحلام ويجمعها
عشق الوطن من أول الصفحة
الهم والصحبة
المغنى فى المعتقل
والمعنى لما يدوب ف كف الأيد
ف بندقية بتصحى جنبى راكبه
نار
وف انتظار انتصار
باعة السماسرة لطايفة التجار
عشق الوطن عيله
عشق الوطن لمه
صاحبى القديم راح فين
السر أوضح من كده يا أولاد
الحاوى لسه مافاتش فى الأعياد
الحاوى غاوى يلف غاوى يدور
ميت على سريره.. والزيت ف
قنديله
خد منى واديله
حبه صباح الخير.. صباح الفل

والحاوى بات فى الطل
ويعنى إيه تبقى لك الذكرى
ويعنى إيه تحب أو تكره
شارع جنينة الباشا لسه طويل
وع الرصيف النخل فارد طوله
مادد دراعه القصير
ضلل علينا
الشمس دالقه هجير
على سكة طالت كلها تعاتير
وحدك جناينى المعرفة؟!
شهبندر الحكمة!!
غيرك كتير ماتوا على الأسلاك
ودابوا ف التفاصيل
ف رغرغات البصر
ف رجرجات السلالم
فى نهنهات البكا
ف شاهد القبر النحاس
ف بيت فى حى الحسين
صاحبى القديم راح فين
يسألنى سائل: صديقى
- هل أنت شاعر حقيقى!! هل أنت شاعر بجد؟
- أنت مجرد مغنى بصوت محشرج دميم
- بتغنى للصبح ف العتمة وفاكر انك جميل
كل النصال دى فى دمايا

عسكر أمامى وورايا
وشوقى لا بل ريقى
ولا ابتسامتى معايا
والصبر طال يا صبايا
طب أعمل ايه يا رفيقى!!
شيل العطش من كلامى
شيل التراب من غنايا
وشق صدرى وهات
قلبى أغسله م الآهات
ومن سواد السكات
يرجع صغير بيحلم
ببنت سكر نبات
عسل الشفايف ف ريقى
صاحبى القديم راح فين
مشيت معاه من طريق
وفارقنى نص الطريق
مافيش إدانة وبراءة
مافيش خداع أو حقيقة
للإنسانية الصديقة
والإنسانية الرقيقة
بدمائى شوفنا الحقائق بترتعش م الزيف
أكم فلان الفلانى وأصله واطى وحرامى
والإنسانية الرقيقة مش واخدة ع التكتيف
والبرتقان ف الجناين ودع نسيم

الصيف
وطيف لطيف للشوارع
لصحاب قدام ف الميدان
عم الزبير سهران مع الصحبة
القهوة فارت والدموع ناصبه
يا فرغلى:
ادينى واحد حلبة وشاى خفيف
للضيف
قواشيط تمزع صمت ليل ميت
قواشيط بتضحك لما تفلت
م الخشب واليك
وعمك أحمد حسن شرقاوى زى
زمان
بيخطط الجدران بكلمة حق
ويوزع الأحلام على الأيام
وشارع البحر يللى يصحى ينام
على صوت صحابنا القدام
بين الغنا والغنا
فواصل كلام

●●●

صاحبى القديم راح فين
هل كان حقيقى كل ما شفناه
وما عشناه
أكذوبة الثورة
عاشت مدى أجيال
مع كل حيط مايل وحيط بيميل
مع كل دمع يسح دم يسيل
مع كل طفل يخف طفل عليل
العله أوضح من قدرة العاشق
على التعليل
ماكانش فيه م الأصل غير عركة
على الثروة
كان ،وش مصر، جميل
ايه اللى غيرها وبدلها
ما بقاش هنا لا بحر
ولا شجر بيميل مع النسيم ع
النيل
مخلوط حابلها بنابلها
لا عرفنا أولها ولا جبنا آخرها
ونساها ورجالها
تايهين ما بين مبانيها ورمالها
صاحبى القديم راح فين؟
وأصحابه فين؟
عنايات وزين وشفيق
وحلمى والشبه
وأحمد حسن وبشير
وجنينة الأورمان وكوبرى
الجامعة
ووشوش اسامى كتير
م الذاكرة طالعين
وطابور طويل ممدود من قاعة
الاعتصام
لسجن القلعة
ومصر بتخطى الهزيمة اليتيمة



وفى الأغانى بتحتفل بالنصر
چيفارا أصلاً حر مات
وحمزة واخدع السكات
والإعــــلانات مـلـو الشـــوارع
والحارات
دولس وشيبس وخد وهات
يا طالعين جيل الموات
ده منطق العصر الجديد
يا تعيشوا فى القفص الحديد
يا تموتوا فى العهد السعيد
بكل أنواع العلل والسرطانات
صاحبى القديم راح فين؟!

يمكن مانالش كل ما تمناه
يمكن مـا عـدش بيـفكر فى اللى
يتمناه
وخطوتين للخلف
وألف خلف وخلف
لقينا روحنا بعيد
الدنيـا غيـر الدنيا والحلم غيـر
الحلم
صـاحـبى الـقـديم بعـد السنين
الشين
بيـحب سيدنا النبى ويمـوت فى
سيدنا الحسين

عقارب الساعة

سالم أحمد عارف

اعتاد الشيخ الوقور فى تجوله اليومى أن يرى الحديقة التى تقع على أطراف بلدته الصغيرة خالية من الناس لوعورة أرضها وبعدها عن البلدة إلى جانب عدم تهيئتها للتنزه واللعب، وهى الحديقة التى شهدت على ارضها ايام صباه وشبابه عندما كانت عامرة ومهيأة للتنزه والمرح، إلا فى ذلك اليوم عندما رأى مجموعة من الصبية يلعبون ويمرحون بها، وقد غطت سعادتهم ومرحهم على وعورة أرض الحديقة.

فتشرب الشيخ هذه الروح المرحة منهم وجلس على أريكة بالحديقة وجلس متأملا الأولاد وهم يلعبون ويمرحون متذكراً أيام شبابه وصباه.

وفجأة القى أحد الصبية بحجر نحو مكان ما فى الحديقة مغطى بالأوراق فأنبعث من هذا المكان اصوات نباح الكلاب الضالة وهى تجرى مسرعة غاضبة نحو الصبية فأسرع الصبية جميعاً بالفرار والخروج من الحديقة إلا صبياً صغيراً لم يستطع مجاراتهم فى الفرار فكادت أنياب الكلاب أن تصل إليه وتفتك به لولا وقوعه فجأة فى حفرة عميقة لحسن حظه فيأست الكلاب من اصطياده وعادت من حيث اتت.

وتأمل الشيخ كل هذه الأحداث فى لحظات ثم أسرع محاولاً إنقاذ الصبى من الحفرة التى وقع فيها فرأى الصبى يثنى ركبته المصابة ولا يستطيع الحراك، فرأى الشيخ بعض ملابس الصبية التى تناسوها اثناء فرارهم وأحضر الشيخ بعض الملابس وصنع منها حبلاً مده للصبى الذى تعلق به حتى استطاع الخروج من الحفرة بصعوبة وبمجرد خروجه شكر الشيخ الوقور وقال له: (لولا شهامتك وحكمتك لما نجوت).

وتأمل الشيخ كلام الصبى للحظات ثم قال له: (نعم يا بنى فبتزايد عمر الإنسان تزداد حكمته وعقارب الساعة دائماً تتقدم للأمام وتأتى بالجديد الذى يتعلمه الإنسان ولا ترجع للوراء أبداً).

ابتسم الصبى لكلام الشيخ متفهماً وقال له: (هذه حكمة مفيدة منك، وسأحرص على التعلم باستمرار فى حياتى).

ثم تصافح الاثنان وتبادلا الحديث الشيق أثناء عودتهم وأصبحوا صديقين منذ ذلك الحين.



عمرى المقيد والطليق

هانى ياسين

اخى يشاهد التلفاز انا اقف فى لحظة الغروب الطائرة تكاد تدخل المنزل لكنى على يقين انها سوف تعدل مسارها لا مصيبة انها تقتحم المنزل اختبئ تحت الأريكة تبدو لى انها سوف تخرج تصطدم بالحائط تنفجر تأخذنى شظاياها تصعد بى إلى السماء وانا أنطق الشهادتين.

استيقظ أتذكر الحادى عشر من سبتمبر

احكى لأمى تخبرنى أن الموت فى الحلم يعنى طول العمر إذن طيلة هذا العمر سوف احبك ايتها الأكاديمية البريئة طيلة هذا العمر سوف استمتع براسك أيتها المبدعة البريئة.

رسالة تضامن

استاذى الشاعر حلمى سالم - لعلك تذكرني، أو لا أنا تلميذك أحمد القشيرى من مركز ابو قرقاص محافظة المنيا قد جئتك لتقدم لى ديوانى الأول «أشباه مريميه» ولكنك لإنشغالكم لم تستطع ذلك وكانت مقابلتك معى هى أفضل عندى وترحيبكم وثناءكم على أعمالى كان عندى أكبر من أى شىء وقد طلبتم منى عملا لتنشروه لى فى أدب ونقد الجميلة ولظروف ما لم يتم النشر وبعدها قد أكرمنا القدر بالخبر الجميل وهو عودة إبداع للظهور مرة أخرى وان لم تكتمل فرحتنا كالعادة إلا وفوجئنا بالمتربصين من الشللية والمرتزقة يزعقون وينبحون بوقف إبداعنا مرة أخرى فتم إيقافها وما ان سألنا عن السبب حتى عرفنا ان هؤلاء لم ولن يفهموا ما تصبون إليه من لغتكم المغايرة للسائد والمألوف فارادوا مأساة أخرى لحلاج اخر يكون هذه المرة هو انت، وكأن لسان حالهم يقول يا أصحاب الأحوال والمقامات والقامات أيضا لا تتطاولوا فمهما كبر تم فنحن لرقيكم بالمرصاد ولن تجاوزوا بكتاباتكم أدراج مكاتبكم ولربما فتشنا فى أدراجكم ومزقنا إبداعكم وفكركم فلا يتجاوز عقولكم، ولربما حطمنا رؤوسكم وأخرجنا افكاركم واهرقنا دمها على قارعة طريق الجهل وثقافة (بحبك يا حمار) التى تملأ آذاننا شئنا أم أبينا.

هذا ما دار فى خلدى فور سماع هذا النبأ المؤلم المشين لثقافتنا العريقة التى نتغنى بها ليل نهار وإننى ومع صغر هامتى فى كتابة الشعر فإنى اتضامن معك أيا ما كان مقصدك من بعض الكلمات التى لا يفهمها هؤلاء المنصبون انفسهم رقباء فأنت حر تعتقد ما تشاء وتؤول ما تشاء وتفكر كيفما تشاء على الرغم من أن قصيدتكم قد قرأتها فيها من التنزيه للذات الألهية عن العبث والظلم والجور - هى فقط طرح أو إعادة طرح وتعريف للواقع المؤلم الذى نحياه.

أحمد القشيري
المنيا - أبو قرقاص

رقص العصافير

عندما أسمع صوتك
اسمع دقات قلبي
وحينما أراك امامي
أرى الطير يهفهف علي
هل اراك مرة أخري؟
إننى لا أصدق نفسي
عندما اراك وأسمع صوتك
تشجينى بأحلى النغمات
كأننى طفل صغير
ارقص كرقص العصافير
حينما تطير فى السماء
وتغرد بصوتها الحانها
التى تلاحقنى وأنا معك
أريد أن أعيش معك لحظة
وتتشابك وتتداعب الأيدي
ونعيش أحلى الأوقات
وبابتسامتى وابتسامتك
نكون أجمل الابتسامات
وأطير كمثل العصافير
وأغرد بأجمل النغمات

نهلة عزت

بالمشقلب

قمت منزعجا من النوم رايت شخصاً جالساً أمامى قبل أن أتكلم نظرت إلى وجهه نفس الشخص الذى جاءنى فى المنام وصرخ فى بأن أقوم من النوم قلت له من انت قال إنه ضميرى !!!!

فدت بأنه يقول ضميرى ولحظت انه يقولها بحزن قلت له الضمير يفترض أن يكون شبه لصاحبه وانت لست شبهى ولماذا علامات الحزن على وجهك.

رد على بأن الضمائر تغيرت اصبحت شيئاً آخر مثل اى شىء تغير وتظنه الناس الشىء الصحيح وإذا فعلت امامهم الشىء الصحيح نكروها عليك كأنك انت المخطئ وهم المصحين.

وعلامة الحزن على وجهك بسبب الضمائر تريد أن تعود كما هى شبه لصاحبها قلت له ما الحل يا ضميرى.

قال يجب إن تعود الأشياء إلى طبيعتها.

قلت له ممكن تعطنى امثلة وافق على الفور قال سننزل للشارع لكى ترى بعينيك مشيت معه قال لى انظر.

لقيت بنات يعاكسون الشباب ويصفرون لهم ويمدحون ملابسهم وجمالهم فدهشت مع اننى ارى هذه الأشياء وقال انظر لقيت شباب يدخنون البانجو فى شارع جانبى قال لى البقية تأتي.

ذهبت معه إلى (غرزة) جلست قال اتعلم من هذا أنه مسئول كبير يدخن معهم.

قلت له كفى هذه الصور قال اتعبت قلت لا ولكن كفى قال إذا صبرت سترى أكثر قلت قبل أن ارى ماذا سنفعل حتى نعيد ضحكتك وشكلك الطبيعي

قال يجب إن تحاول بتغيير هذه الأشياء كما كانت وسأعود إليك بعد شهر يا صديقي

رايته اختفى من امامى جلست مع نفسى قررت أن أعيد الشىء الصحيح إلى مكانه مشيت فى الشارع لقيت بنات يعاكسون الشباب دخلت عليهم ونصحتهم ولكنهم تجاهلونى صرخت فيهم تجمع الشباب الذين كانوا يعاكسونهم قالت البنات إنه يعاكسنا اخذونى إلى القسم اليوم التالى جاء والدى ليخرجنى مشيت لقيت شباب يدخنون البانجو دخلت عليهم انصحهم بأن هذا الشىء حرام، ولكنهم ضربونى



انسكرت قدمى اليمنى جلست فى البيت ١٤ يوما ثم خرجت إلى الشارع ذهبت إلى (الغرزة) لقيت المسئول جريت إلى القسم أبلغ ولما وجدوا المسئول هناك لم يأخذوا أحد بل أخذونى أنا قضيت ١٠ أيام فى السجن بعد أن سامحنى المسئول مشيت فى الشارع كان تبقى ٥ أيام.

لقيت فى الشارع رجل مصاب والناس واقفة لم تفعل شىء حملته فى تاكسى وذهبت إلى المستشفى ولكنه قد فارق الحياة.

أسئلة من الشرطة إلى على معرفتى به أكدت لهم أننى لا أعرفه قضيت بسببه أيام فى السجن إلى أن تأكدوا من برائتي.

خرجت وأنا نادم أنى كنت أنقذه

لقيت ضميرى فى وجهى قال لى ٣٢ يوما يا صديقي

ذهبت إليه ولم أتكلم مشينا ونحن نمشى كانت سيارة تمشى بسرعة خبطت ضميرى وقع على الأرض والدم يسيل منه نظر إلى وبتسم ومات.

محمد نبيل

كل من فى حمــاك

عمر بن الفارض



تــه دلالاً فـــأنت أهـل لـذاكـــا ... وتحـكّم فــالحــسن قــد أعطاكــا

ولك الأمــر فــاقض مــا أنت قــاض ... فــعلىّ الجـمــال قـــد ولاّكــا

وتلافى إن كــان فـيـــه ائتــلافى ... بك عــجل بـه جــعلت فــداكــا

وبما شـئت فى هـواك اخــتـبـرنى ... فـاخـتـيـارى مــا كــان فيـه رضاكــا

فــــعلى كل حــــالــة انت منى ... بىَ أولى إذ لـم أكـن لـولاكــــا

لـك فـى الحـى هــالـك بـك حـىٌّ ... فى سـبيل الهـوى اسـتلذ الهلاكـا

عــبـد رق مــا رق يومــاً لعــتـق ... لو تـخليت عنه مـــا خــلاكـــا

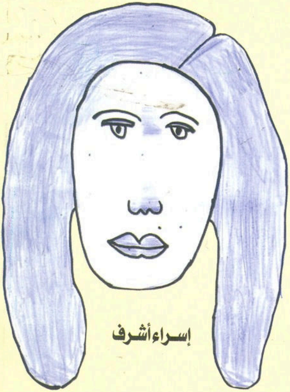
شنّع المرجــفـون عنك بهــجـرى ... وأشـــاعــوا أنى سلوت هـواكـــا

مــا بأحـشـائهم عـشـقت فـأسلو ... عنك يوماً دع يهـجـروا حـاشـاكا

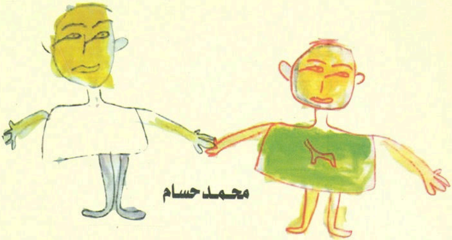
كـــيف أسلو ومــقلتى كلمـا لا ... ح بريق تلفّـــتت للـقـــاكـــا

كلٌّ من فى حــمـاك يهـواك لكن ... أنا وحـدى بكل من فى حِـمـاكـا

يُحـشـر العـاشـقـون تحت لوائى ... وجــمــيع الملاح تحت لواكـــا



إسراء أشرف



محمد حسام



ليلى خالد حريب



أوزريس
حسانين



مريم عبد الستار
حتيته

الأمل للطباعة والنشر　　رقم الإيداع ٧٥١٢ / ٩٢　　«الثمن: ٣ جنيهات»